بس خلاص

شرين حمدي

بس خلاص / ساخر

شرين حمدي

الطبعة الأولى ، ٢٠١١



دار اكتب للنشر والتوزيع

١٠ شارع عبد الهادي الطحان، المرج الغربية

موبايل :٠١١٠٦٢٢١٠٣٠

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

إسلام جاويش

هشام مرعي

رقم الإيداع : ٢٠١١/٢٢٢٥

I.S.B.N: ٩٧٨-٩٧٧-٤٨٨-١٢٤-٦

بس خلاص

ساخر

شرين حمدي

الطبعة الأولى

٢٠١١



دار اكتب للنشر والتوزيع

حياتي كابوس حقيقـــي فأنـــا أعـــيش في بيـــت العيلـــة لا.. لا .. ليس هذا وقت الأحلام الوردية عن الحميمية،الترابط والدفء العائلي ..

هذا وقت الكلام عن الخصوصية المعدومـــة ... الـــشجار والأصوت العالية الذي جعلـــت الهـــدوء في مترلنـــا ينتحـــر بيت العيلة ... كيف فكر جدي بهذا الأسلوب؟! ... لأنه ولد وحيدا قرر أن ينجب كثير ورزقه الله بخمـــس أولاد وبنـــتين لذا قرر أن يبني هذا المترل الكبير أقصد العمارة ليعطي كل ولد وكل بنت شقة ليتزوج ولا تتشتت العيلة قط....

كل ولد تزوج أنجب وكل بنـــت تزوجـــت أنجبـــت ... أصبحت أعيش مع جيش.

ويا سلام كيف يكون الحال إذا أعلنت جدتي الحرب علـــي الكناين بمساعدة البنات طبعا يا الله كم تصبح حياتنا جميلة ... بيت العيلة الكنة طوال فترة الخطوبة تسأل رأي الحما و الحمـــا لا تريد أن تتدخل.

- أصل دي حياتكم وأنا مالي المهم تكونوا مبسوطين

- الكنة : أنتِ الخير والبركة وكلامك علي راسنا.

طيب بعد الزواج؟ الكنة تعلن الاستقلال التام أو المـــوت الزؤام.....

الحما - دا ابني.. وللا علي رأي المثل ربي يا خايبة للغايبة!؟

الحروب لا تتوقف والمعارك مستمرة

الأزواج في حالة من الطناش! من مجنون يدخل نفسه في تلــك الحرب الهوجاء!

الأحفاد في مارثون من الأشطر ومن الأروش

وأخيرا الجد المسكين يضرب كف علي كف ويتحــسر علــي الحلم الذي ضاع.

***

الحرب العالمية الأولى

كل فترة - ليست محددة - تشن جدتي حروب علي الكناين. ولأن كل الأطراف قوى عظمي، لذلك فهي تصبح حـــروب عالمية ، حتي أنني أصبحت أدون تلك الحروب _ فراغ_

هل تعرفون ماذا اكتشفت؟ .. أن هناك ما لا يقـــل عـــن ثلاث حروب كل شهر مع اختلاف الحجم والمدة قبل إعـــلان الهدنة!!..

الحرب العالمية الأولي لهذا الشهر كانت بسبب الجمبري .. نعم الجمبري هذا المخلوق البحري الوضيع الـــذي تـــسبب في الكثير من تبادل القذائف البرية والجوية علي حصن الكنة العدو

لقد طلبت جدتي من الكنة الكبري "طنط ناهد" أن تبتـــاع لها ٢ كيلو جمبري لعمل كبيبة وكفتة لكـــن الكنـــة اللئيمـــة أحضرت كيلو ونصف فقط من الجمبري صغير الحجم

اشتعلت جدتي غيظا لماذا لم تأتِ لها الكنة بما طلبـــت ... ألقت جدتي كيس الجمبري أرضا

-إيه دا؟ دا جمبري دا ولا دود؟ وبعدين ماله قليل كدا؟

-معلش ياماما أصل الفلوس ماكفتش إلا كيلو ونص بس

-ما كفتش ... كنتي كملي من معاكي وبعدين هحاسبك ولا فكراني هكلهم عليكي؟

-العفو يا ماما إزاي بس

-وبعدين ماله صغير كدا

-أصل الكبير اللي حضرتك طلبتيه كان غالي حبتين ومش طازه وكمان مش بلدي مزارع لكن دا طازه وبلدي بصي كدا وبعدين ماهواش صغير للدرجة دي

-آه يعني أنا بفتري عليكي

وبعد نصف ساعة من القذف البري علي حصن الكنة جاءت المساعدات .. ماذا؟ لا ليس للكنة!.. بل للجهة العظمي — إفتراء-

جاءت والدتي

-فيه إيه يا ماما؟ ... صوتكو عالي ليه بس

لهثت جدتي وأمسكت صدرها ثم ضيقت مقلتيها قليلا

-تعالي شوفي مرات أخوكي .. فكراني حرامية

-دهشت الكنة لتلك الضربة المفاجئة التي أطاحت بالجناح الأيمن وأسرعت بالنفي

-أبدا يا أبلة ... كل اللي حصل أن ماما طلبت مني جمبري ورحت جبته بس الفـــ..............

-أنتي كمان بتكدبيني؟ (جدتي مقاطعة(

تدخلت أمي :

-أبله! ... أبله مين يا حبيبتي؟ قال أبله قـــال.. ماكـــانوش خمس سنين عمي

وبعدين يا ماما ... كملي يا حبيبتي

ضعف صوت جدتي في محاولة بائسة ومكشوفة جدا لتبدو ضعيفة ، مغلوبة علي أمرها

-كل دا عشان كان نفسي في شوية كبيبة وكفتة ...أقـــوم أتبهدل كدا علي أخر الزمن

علا صوتها فجأة

-لكن أنا مش هسكت (أشارت للكنة بإصبعها) أنـــتِ فاهمة؟ مش هسكت علي كدا أبدا

-لا عاش ولا كان اللي يبهدلك يا ماما ... أنا ليا كلام مع البيه جوزها لما يرجع .. هي حصلت تبهدلك كمان

بعد كل هذا القذف الجوي والبري لم تتمالك الكنة نفسها أكثر وبدأت بقذف الهاون علي جدتي ووالدتي

وليه تستني لما يرجع تجي أطلبهولك لــو موبيلــك مــش معاكي أو حتي توفري تمن المكالمة عادي يعني في بيتها

تملكت أمي الدهشة فالقذف كان مفــاجيء وفي ذهــول أجابت

-يعني مش همك ...

وكأنها تكلم نفسها قالت

-أوفر تمن المكالمة ... هي القوالب نامت والانصاص قامت ولا أيه

قاطعتها الكنة

-يقولك أيه يا أبله كفاية غلط لحد كدا وكلامــك بعــد كدا مع جوزي

انصرفت الكنة بعد أن حطمت كل حصون العدو في شــنة مفاجئة علي الأسطول الجوي ثم صفقت الباب بشدة خلفهــا وكانت تلك القشة التي قسمت ظهر البعير

-شفتي إزاي بترزع الباب في وشنا

-معلش مـــاهو العيـــب مـــش عليهـــا العيـــب علـــي الـــ............ فين التليفون أنا هكلمه ولما أشوف هيعمـــل ايه سبع الرجال دا؟

***

لم تفلح محاولات خالي البائسة للصلح بين الطرفين. كـــل طرف متمسك بموقفه حتى أنه أصبح لكـــل طـــرف أنـــصار وتقسمت العيلة لثلاث أحزاب..

الحزب الأول هو حزب جدتي والذي يضم والدتي وخالتي رغم كونه من ثلاث أفراد فقط لكن لا يستهان به..

الحزب الثاني هو حزب الكناين لقد انضمت الكناين الأربعة لمناصرة الكنة الكبري ناهد ولا تصدقوا المثل الذي يقـــول أن مركب السلايف غارت،

لا وألف لا ، في وقت الشدة يتكاتفن لتصنعن درع وحصن بشري يغلب خط بارليف " رحمه الله "

أما الحزب الثالث فهو الحزب المحايد وأقصد بالمحايد السلبي الذي يشاهد في صمت دون تدخل مهما حدث وهذا الحـــزب يضم جدي ،أخوالي ، أبي و زوج خالتي... (كل الرجال يعني)

تتساءلون طبعا عن وضعي أنا وباقي الأحفاد..

لكل حرب ضحايا، هؤلاء هم نحن.. الضحايا!

منا من أصبح مراسل حرب – كلنا نعلم جيدا أن مراسل الحرب من أول ضحايا الحرب دائما " اقطعوا رأس الرسول " – في وضعنا هذا يقطع عنه مورده المالي كنوع من العقاب لانضمامه للحزبين الأولين ... ذلك لا يحدث أبدا ولكن كل حزب اعتبرنا تبعا للحزب الآخر " إفتراء"

ومنا من اختار أن يكون عميل وجاسوس مزدوج، وذلك ليضمن سلامة موارده المالية من المصادرة والحجر عليها، ويضمن حسن معاملة الأسري فمعاهدة جنيف ليس لها مكان في مترلنا.

بعد بعض المناوشات الخفيفة بين الحزبين الأوليين استطاعت جدتي كسب الحرب وفرض مطالبها.. فالحرب خدعة !

علمت جدتي من إحدي الجواسيس أن الكناين قد زودوا أنفسهم بأسلحة فتاكة ستطيح بجبهتها الداخلية تماما من أول قذفة. لذلك كان عليها زيادة الجيش الخاص بها.. فلابد من تجنيد أفراد الحزب المحايد لحزبها.

جمعت العائلة كلها لمشاهدة المواجهة بينها وبين الكناين في عرض حصري. وما أن أنزلت الكناين فرقة المشاة، حتي سقطت جدتي مغشي عليها.!! وبتلك الحركة المكشوفة جدا –

للكناين - ألقت جدتي عليهن قنبلة تـــشبه قنبلـــة هيروشـــيما وناجازاكي، واســـتطاعت ضـــم الحـــزب الثالـــث بكاملـــه لها.وبالطبع، فلم يكن أمام الكناين سوي رفع الراية البيـــضاء، وإعلان الهزيمة في انتظار مطالب جدتي.

***

مطالب جدتي:

الأول: الاعتراف الرسمي بأنها علي حق وهم مخطئون

الثاني: الاعتذار الرسمي

أما الثالث الانتقاميّ: فقيام الكناين بشراء كمية كبيرة مـــن الجمبري (الدود) وتقشيره لأنه (بلـــدي وطـــازة.. مـــش زي الكبير) !

الشراب دا كحلي ولا أسود

جدي ذو شخصية سيادية، رغم رومانسيته التي تحدثنا عنها مسبقا.. له هيبة، صوته رنان، مخارج كلماته واضحة.. ويعرف دائما ما يريد.

سيءٌ حظه من يطلب جدي منه طلب.. ولندرة حدوث هذا، فمن المتوقع أن يتم تنفيذ طلبات جدي حسب معايير محددة جدا!

***

أيقظتني أختي اليوم باكرا.

- كرم.. قوم جدو عايزك.

ولأن أختي حفيدة بارة جدا بجدها، فهي تخشي إغضابه دائما. وأي طلب صغير يتحول داخلها لأمر واجب النفاذ في الحال.

تململت في نومي طالبا منها منحي نصف ساعة أخري أنامها. لكن أختي كانت – كعادتها - ملحة جدا.

- أمري لله ... أديني قمت ارتحتي ... روحي بقي اعمليلي شاي

- شاي إيه ياعم دا بيقول عايزك حالا

ابتسمت في خبث

- قال حالا وللا أنتي خمنتي؟

زفرت في حنق..

- أنا مالي .. منك له. بس ماترجعش تقول يا ريت.

استسلمت، وقمت من سريري الدافيء المريح فاغتسلت متعجلا، وذهبت إلى جدي.

- كرم عايزك تشتريلي ٣ شرابات أسود و كحلي وبني من ماركة (-----) هتلاقيهم في محل -----

بعد نصف ساعة من الوصف التفصيلي لمكان المحل والشرابات داخل المحل استطعت أخيرا الكلام

- حاضر يا جدي مسافة السكة .... سلامه عليكم

- كرم ..... الألوان تبقي واضحة بس غامقة يعني ماتجبش الشراب لبني وللا زهري وتقولي دا كحلي .... كحلي يعني كحلي

نصف ساعة أخرى.. وعدت لجدي بالشرابات. دخلت عليه دخول المنتصر فلقد أتيت بالمطلوب دون عناء ... في زهو

أعطيته ما أتيت به.. تصلب وجهه قليلا وهو يقلب فيهــا، ثم سألني بهدوء قاتل

- إيه دا؟

بدأ زهوي يضعف وحلقي يجف

- الشرابات!

أزاح نظارته قليلا، ورفع عينه ليلقي علي نظرة ثاقبة..

- طلعلي الكحلي من بينهم .. أو اقولك.. البني.

اندهشت من طلبه، فالألوان واضحة وضــوح الــشمس. اقتربت منه وأمسكت الشرابات. ولوهلة ارتبكت.. في المحــل كان ضوء الشمس ساطع و اخترقم بثقة. أما الآن غلا أعرف لماذا بدوا متشابهين!

لم أرد أن يلاحظ جديارتباكي، فتكلمت بثقة خانتني بعــد أول كلمة..

- دا البني ياجدي ودا ...احم الكحلي.. وأكيد التالت هو الأسود.

بنفس الهدوء سألني،

- أنت نظرك كام يا كرم؟

- الحمد لله نظري ستة علي ستة ليه يا جدو؟

لم يجبني؛ بل نادي علي جدتي والشغالة اللتين كانتا تتهامسان خارج الغرفة. اقتربت الشغاله أولا..

- نعم يا حاج؟

- طلعي الشراب البني من دول

أمسكت الشرابات بيدها تقلب فيهم، ثم أخرجت واحد وقالت:

- دا.. ولا إيه رأيك يا حاجة؟

أمسكت جدتي الشرابات بدورها..

- لاء يا اعتماد مالك؟.. دا هو البني.

نظر لي جدي، وطلب مني إختيار الشراب البني.. الذي كان بالطبع الشراب الثالث!

شعرت وقتها أن الدم هرب كله ليتركز في وجنتي.. كم تمنيت أن تنشق الأرض وتبتلعني قبل أن يبتلعني غضب جدي

في صوت جهوري تكلم جدي..

- يا بني أدم ربنا ميزنا عن الحيوانات بالعقل. كان فين عقلك ولا عينيك وانت بتختار الألوان دي ، لما أقول ٣

شرابات بـــ٣ ألوان ماتجيبهمش شبه بعض وبعدين في فرق بين البني والبني المحروق

للأسف هنا تكلمت..

- يا جدو كان في شرابات زرقه وبلو بلاك وكمان هافان وبني محروق.. وحضرتك طلبت مني ألوان غامقة قلـــت دول أفضل

ضرب جدي علي الطاولة التي أمامه

- بلو بلاك دا يطلع لونه إيه؟

في صوت ضعيف..

- أزرق مسود

هنا طار صواب جدي فلم أدرك ما قاله ولا ما فعلته. كـــل ما أتذكره جدتي والشغالة وهما تسحباني بعيدا..

لم يهدأ جدي إلا بعد إعادتي للشرابات وتغييرها..والحمد لله، في المرة الرابعة وجد جدي ضالته.

الجوازة دي مش لازم تتم !!

النحس هل فكر أحدكم في تلك الكلمة إن كانت فعلا موجودة؟

كيف نحكم علي شخص ما أنه منحوس؟ أو أنه ينحس نفسه ومن حوله؟

تلك قضية شائكة لم أحاول قبل اليوم أن أفكر بها؛ لكن ما حدث في خطبة أختي الصغيرة لا يمكن أن يكون طبيعي أبدا!

لقد تقدم لخطبة أختي طبيب شاب، لا يكبرني سوي بعام واحد، حديث التخرج، من عيلة... المختصر "لقطة" ليس به عيب إلا أنه من بلدة مجاورة لنا

يوم قدومه لنا أول مرة مع والديه، ومع دخوله أول خطوة في بيتنا، قطعت الكهرباء! ضحك والده بفعل الإحراج قائلا:

- خير.. والله خير.. دا ربنا مابيقطعش النور علي حد إلا وغفر له! شوفتم خير إزاي؟!

لم يعلق أحد منا، وابتسمنا مجاملين لدعابته. ولم نأخذ هذه الواقعة في إعتبارنا لأن الكهرباء أحيانا تقطع عن المنطقة كلها. أما الغريب، فكان أن الكهرباء قطعت عن شقتنا فقط!

في ذلك اليوم اتفقنا علي موعد الخطبة الرسمي بعد شـــهر.. ولم يحدث!

مرضت جدة العريس، واضطررنا لتأجيـــل الحفلـــة لحـــين شفائها.

شفيت الجدة ،لكن أمي مرضت!

شفيت أمي ... كسرت ساق أختي (العروس)!

شفيت ساق أختي، فدخلت امتحانات الترم ....؟

وأخيرا حددنا موعد الخطبة بعد ٤ شهور من ميعادها.

كما قلت، العريس من بلدة مجاورة لنا.. والحفلة هنا. فهل من المعقول أن يتحرك العريس من بلدته بعد أذان المغـــرب؟!.. لكنه لا يرتاح للحلاقة إلا عند حلاقه الخاص!

- أنت فين يا هشام؟

- أنا خلاص خرجت من الجمرك ماتقلقيش. (ماهو احنـــا في بورسعيد)

- دا المغرب أذنت!

- قلتلك ماتقلقيش.

مازال أمامه وقت؛ لكن لأنه خاف أن يتأخر، سار بسرعة تفوق الردار. أوقفه الـــ (كوموستبل)

- رخصك

- معلش حضرتك أصل النهاردة فرحي وتأخرت

- ابقي أخرج من بيتكم بدري... رخصك

إنه أذان العشاء..

- أنت فين ياهشام؟

- جاي.. أصل الـــــ (كوموســتبل) وقفــني وســحب رخصي.. معلش ساعة زمن وأوصل.

- الكوافيرة خلصت.. طيب أستناك في بيتنا أحسن؟

- ماشي.

في الطريق، (ضربت) إحدي عجــلات الــسيارة، فقــام العريس الهمام بتغييرها

- أنت فين ياهشام؟

- العجلة ضربت معلش.. أنــا بغيرهــا نــص ســاعة وهوصلك.

بعد ساعة إلا ربع..

- أنت فين يا هشام؟

- الاستبن ضرب.. شكلي كدا نسيت أصلحه المرة اللـــي فاتت. معلش هركب أول مواصله وأجي أنا وماما وبابا.

- لاء خلاص.. قولي أنتم فين وكرم هيجي ياخدكم.

((يا عيني عليك يا كرم))

كانوا خارج الجمرك بـــ٥ كيلو فقط. ذهبت لإحضارهم، والحمد لله وصلنا سالمين .. أي نعم متأخرين علي الاســـتوديو بثلاث ساعات، لكن لا يهم. فالأهم أننا وصلنا للأستوديو.

وأخيرا بعد بعض الـــصور.. مـــا أن خرجنـــا وأطلقنـــا الكلاكسات – فرح بقي – حتى سقطت جدتي علي كتـــف جدي في السيارة مغشي عليها!!!

وتوجهنا جميعا للمشفي بدلا من قاعة الأفراح..

- خير يا دكتور طمننا

- خير... الحاجة شكلها نسيت تاخد الانسلوين النـــهاردة مع شوية انفعال حصلها غيبوبة سكر لكن ماتقلقوش أنا علقت لها محاليل. كام ساعة إن شاء الله واحتمال تروّح معاكم

شعرنا بارتياح جميعنا لكن أمي أخـــذت تبكـــي وتبكـــي وفجأة.. نظرت إلى هشام وأمه وأباه وصرخت:

- الجوازة دي مش لازم تتم!!

أنا الحكومة

البيت هو مملكة المرأة. جميعنا نعلم هذا جيدا ... لكن هناك بعض السيدات يأخذن الأمر علي محمل الجدية، أكثر من اللازم، مثل خالتي سهام.

- أعلنت خالتي وبوضوح منذ أول يوم زواج أنها رئيس جمهورية البيت. الرئيس الأوحد الذي لن يتغير أبدا وبدون استفتاءات.. أما عمو عصام (زوج خالتي) فهو وزير الاقتصاد المسئول عن الموارد المالية لهذه الجمهورية الصغيرة.

- ظلت الأحوال في مترل خالتي هكذا طوال ٢٠ عام، هم عمر زواجها، دون تذمر من الزوج.. لكن دوام الحال من المحال!

- في الشهر الماضي تقدم ابن أخت عمو عصام لخطبة ريم – بنت خالتي– فوجئنا جميعا برفض خالتي، علي الرغم من معرفتنا، ومعرفتها، لميل ريم وهيثم لبعضهما.. وكلنا كنا نترقب طلبه للزواج منها، فماذا حدث الآن؟!

- أنا أدري بمصلحة بنتي ... دا لسه ماأخدش شهادته ولسه مشتغلش ولسه مجبش شقة.. هو الجواز بقي لعب عيال؟!

- اعترضت ريم باكية

- بس أنا بحبه يا ماما

- صفعتها خالتي ناهرةً لها:

- هي وصلت قلة الحيا لحد كدا! قال بتحبه قال! ... أمشي علي اوضتك مش عايزة أشوفك قدامي.

- دخلت ريم المسكينة غرفتها باكية. وحبست نفسها في الغرفة أسبوع. لم تخرج منها سوى للحمام فقط، و لم تكلم أحد.

- عمو عصام لم يستطع أن يرى إبنته هكذا.. ولا حتى خالتي، فلقد أرسلتنا تباعا لنتكلم مع ريم ونحاول إقناعها بالخروج من عزلتها أو حتى الكلام.

- قرر عمو عصام القيام بثورة تصحيح – لكن بدون معتقلات –

- أتصل بهيثم.. أبلغه موافقته علي طلبه.. و – منتهى الجرأة – حدد معه ميعاد يأتي فيه مع أهله للاتفاق!!!

- عندما علمت خالتي، جن جنونها.. ثارت.. حطمت بضع أكواب. لكن الزوج كان صامدا علي موقفه!

- كانت هناك نظرة تصميم في عينيه لم أرها من قبل.. لقد جئنا جميعا علي صوت تحطيم الزجاج والصراخ. وما أن وصلنا، حتى استشهدت بنا خالتي

- شايفين البيه بيلوي دراعي ... راح اتفق مع الناس علي الخطوبة هنا في بيتي من غير إذني

- طار صواب عمو عصام وصاح: (لأول مرة أراه يصيح!)

- هي بقت كدا؟ آخد منك الإذن؟ وبتقوليها قدام أهلك!... طيب من النهاردة مافيش كلمة في البيت دا إلا ليا

- وأخذته الجلالة، فرفع ذراعيه عاليا في مشهد درامي يستحق عليه الأوسكار، وأستعار بعض الكلمات من أحمد السقا حيث قال..

- من النهاردة أنا الحكومة ..... أنا الحكومة

- كنت أريد أن أصفق له متأثرا، لولا أنني تذكرت أن ما يحدث ليس فيلم بل حقيقة لا أدري ماذا ستكون توابعها في الساعات القادمة..

- صدمت خالتي مما قال زوجها.. صمتت قليلا .. نحن أيضا كنا صامتين، فماذا يمكن أن يقال الآن؟!.. ثم وقفت

علي قدميها فجأة متحفزة، لتبدأ جولتها، لـــولا أن اســتوقفها جدي..

- مكانك! كفاية كده ....

- صمت الجميع مترقبين وقلقين من القادم.. لكن جـــدي عاد فقال بصوت خفيض:

- لما تهدوا نبقي نتكلم

- بس يا بابا

- بإشارة صغيرة من يده ابتلعت باقي كلماتها.. قال هو:

- جوزك ماغلطتش. هو هنا راجل البيت، وأنتِ زودتيهـــا معاه وقدامنا ... بينك وبينه أنتم حريين سوا.

- بتلك الكلمات البسيطة احتوى جدي الموقف.. أما مـــا يحدث .. فسنعرفه بعد قليل.. !

ثورة الفلانتين

- الفلانتين ... يوم كئيب جدا علي الرجال. ليس هناك رجل يعرف سر هذا اليوم المزعوم ... كل الفتيات يهتممن به ، يحضِّرن له طوال العام.. ماذا ستشتري ... ماذا سترتدي ... أين ستخرج.. وأهم من كل هذه الأسئلة ما التلميحات التي سترسلها لفتاها من أجل الهدية.

- ثم في هذا اليوم فرض علينا أن نرتدي الأحمر ... -أحمر أتصدقون؟! - إنني وبرغم كوني أهلاوي أصيل لم أرتد الأحمر يوما ولا حتى في شكل – اسكارف – ... يا الله علي تلكن النسوة اللاتي يتحكمن في حياتنا نحن معشر الرجال ... أحمد الله كثيرا أنني لم أضطر لارتداء الأحمر بعد.

- في عائلتي لم يكن للفلانتين نصيب من احتفالاتنا إلا في الخمس سنوات الماضية فقط عندما قررت إحدي بنات الجيل الثالث – الأحفاد – الاحتفال به مع خطيبها الذي – وللأسف – وافق علي ارتداء بلوفر أحمر، ثم قدم ومعه دبدوب كبير أحمر يحمل في يده برواز لصورته – يهديها صورته!! ... يع – وعلبة شيكولاتة كبيرة. منذ ذلك اليوم الملعون أصبحنا نحتفل

بالفلانتين. فقد غارت السيدات منهما وطالبن الأزواج بالهدايا رمزا للحب!

- نظرت جدتي لجدي نظرة حالمة رومانسية وهو يشاهد التلفاز..

- حاج..

- جدي في نفاذ صبر - لأنه يعلم جيدا أن تلك لنظرة والصوت الرقيق يتبعها طلب كبير -

- نعم يا حاجة

- قولي زوزا.. زي زمان

- حاضر... نعم يا زوزا

- ثم أدار رأسه ثانيا للتلفاز ..

- أنت جبتلي إيه معاك

- دون أن ينظر لها ..

- كل اللي كان مكتوب في الورقة يا حاجة ..أ.. أقصد زوزا

- قامت من مكانها وعدلت هيئتها، ثم اقتربت منه وهي تخفي شيء خلف ظهرها

- تؤ...تؤ .. تؤ.. ما أقصدش طلبات البيت.. أقصد جبتلي إيه عشان النهاردة

- فرك جدي رأسه مفكرا ..

- النهاردة ... هو النهاردة إيه ... آه السبت ماله بقي

- أخرجت يدها من خلف ظهرها لتعطي جدي لفة حمراء صغيرة.

- نظر جدي بدهشة لتلك العلبة!

- إيه دا يا حاجة؟

- قلنا إيه.. النهاردة أنا زوزا

- ماشي.. زوزا.. إيه دا؟

- في غنج أجابت:

- افتحها وأنت تعرف

- ثم عادت لتجلس فهي لا تستطيع الوقوف طويلا. فـــتح جدي العلبة ليجد بها سبحة فضة طويلة آيه في الجمال، ومعها كارت مكتوب فيه:

- **{{Happy Valantine}}**

- ودا ايه اللي مكتوب في الكارت يا حاجة؟

- إقراه وأنت تعرف

- دا بالانجليزي .... مش مهم مكتوب إيه.. تسلمي يـــا حاجة السبحة جميلة.

- والتفت يكمل مشاهدة التلفاز. احــتقن وجــه جــدتي غضبا..

- أنت مش ناسي حاجة

- لم يجب..

- حاج!

- دون أن ينظر لها..

- نعم

- أعادت السؤال، وكانت إجابة جدي سلبية..

- قامت جدتي من مكانها، ودخلت غرفتها صافقة البـــاب خلفها. تعجب جدي مما حدث، لكن لم يفعـــل أي شـــيء. وعندما غابت بداخل الغرفة، دخل خلفها، ليجدها تبكي أشد بكاء..

- اختلع قلبه من منظرها.. سألها مرارا عما أصـــابها.. و لم تجب.

- طيب بس قولي مين اللي زعلك وأنا أطلع عينه؟

- ولا رد سوي البكاء.

- خرج جدي من الغرفة محتارا ، وجد همسة ابنة خالي التي قفزت في حضنه وبعد أن قبلته..

- ها.. إيه رأيك يا جميل في الهدية؟

- هدية! ..آه حلوة ... متعرفيش من جه النهاردة هنا؟

- محدش.. ليه؟

- أبعدها جدي عنه وذهب في اتجاه التليفون

- نينتك يا ستي بتعيط بقالها شوية ومش عارف ليه.

- يمكن هديتك ماعجبتهاش؟

- جدي في دهشة ..

- هدية إيه؟

- هدية الفلانتين. كل يوم حب وأنتم مع بعض إن شاء الله..

- جدي في استنكار:

- فلانتين إيه.. هو إحنا عيال!.. روحي ذاكري ولا أعمليلك حاجة مفيدة.

- ردت بسخرية..

- أمال حضرتك فاكر السبحة جيالك بمناسبة إيه؟

- هو لازم يبقي فيه مناسبة

- أحاطت همسة كتف جدي بذراعها..

- - خلاص يا جميل أنا عرفت نينا مالها.

- وضعت فمها في أذنه لتفهمه القصة وتنصحه بما عليه فعله من أجل جدتي

- أنتِ متأكدة؟ أصل عمرها ما حصلت و...........

- قطعت همسة كلام جدها..

- أسمع كلامي تكسب

- هز جدي رأسه

- - أمري لله ... حسبي الله ونعم الوكيل. فلانتين إيه في سننا دا!

- خرج جدي من المترل، ثم عاد بعد ربع ساعة حاملا باقة كبيرة من الورد الأحمر

وااااا أسفاه !!

كشف المؤامرة

- لكل عائلة عاداها. وبالطبع عائلتي لها عاداهـا الخاصـة جدا. فنحن عائلة تحترم الاحتفال، و(تتلكك) حتى تحتفل.

- ليس هناك مناسبة لا نحتفل بها.. وكذلك فلكل مناسـبة طقوس معينة للاحتفال.

- ومن أهم تلك المناسبات، رأس السنة الميلادية. وذلـك لأنه يصادف يوم مولد جدي. وبناء عليه، يطرق كـل أفـراد العائلة الكريمة باب جدي محملين بما لذا وطاب من الأطعمة.

- وهناك طبعا تخصصات..

- أمي مختصة بالبشاميل وورق العنب.. خالتي بـالمحمرات من سمبوسـة وبوفتيـك وخلافـه.. الكنـاين بالحلويـات والسلطات.. البنات الصغار تعتنين بتنسيق الـسفرة في أهـي صورة.

- تسألون عن جدتي؟ ... إنها الـ (ريسة) ذات الكلمـة المسموعة والتوجيهات. كما أنها مسئولة الأرز بالخلطة، وجميع أنواع المشروبات من ساخن وبارد.

- علي الرغم من أننا ننتظر هذا اليوم طوال العام، لما له من معزة في قلب جدي. ولأن من تبعات هذه المعزة أن طلباتنا جميعها دون استثناء مجابة في هذا اليوم.

- ومع ما لهذا اليوم من شكل حميمي مميز، إلا أنه لا يخلو أبدا من المؤامرات. حيث يعمل الجواسيس الصغار- الأحفاد- لحساب جدتي التي تأمرهم باستطلاع المطبخ بين حين وآخر وتبدأ تهدئة النفوس .... كيف هذا؟

- تعالوا معي لآخر احتفالية برأس السنة..

- طنط ناهد – تحدثنا عنها مسبقا – ممتازة في صنع البسبوسة. وكما نعلم جميعا (الحلو ما يكملش).. أن لديها عيب خطير. فهي دائما سكرها زيادة، وجدتي عندها مرض السكر – شفاها الله وعافاها – .

- قبل كل مناسبة، تقوم جدتي بعمل تنبيه عام، والمقصود منه بالطبع طنط ناهد، أن كمية السكر والعسل المضافة للحلويات تكون معتدلة. ولكن في كل مناسبة تكون صينية البسبوسة أو الكنافة (جازعه)..! و بالطبع، تشن جدتي الحرب علي الكنة المسكينة. حتى افتضح سر العسل هذا العام!!

- طوال نهار يوم الاحتفال، تأتي كل واحدة بما أعدت من مأكولات لمطبخ جدتي. وقبيل منتصف الليل، تبدأ مراسم الاحتفال بتحضير السفرة وقلي ما يستوجب القلي والتحمير.

- هذا العام اختلفت الأمور قليلا.. فطنط ناهد لم تأتِ بالكنافة والبسبوسة في النهار، بل أتت بها بعد صلاة العشاء بعض الوقت. وذلك لأنها أعدت صينية كانت زائدة السكر، فخافت أن تدخل بها علي جدتي، فأعدت واحدة أخرى.

- أثناء انشغالنا بالاحتفال – الهيصة وخلافه من لعب الورق، طاولة ، دومينو، وغناء البنات – لاحظت جدتي أن طنط سلوى زوجة خالي رفعت ليست معنا. ولأن جدتي مكارة جدا، بعثت أحد الجواسيس – أحمد أخي – ليتفقدها. وهنا بدأ سر العسل ينكشف ،لقد وجد طنط سلوى في المطبخ فصاح بصوت عالي

- هنا يا نينا ... طنط سلوى في المطبخ.

- قفزت طنط سلوى من أثر المفاجأة.. وسكبت علي نفسها العسل!.. حاولت أن تسكته، لكن الكلمات السحرية كانت قد قيلت.. الجميع يقف علي باب المطبخ وتلبست طنط سلوى بالجرم المشهود!!

- بدأت جدتي المحاكمة الفورية

- أنتِ بتعملي إيه هنا؟

- في توتر أجابت:

- ولا حاجة ... بشرب

- أكملت جدتي

- وإيه اللي علي هدومك دا؟ ... عسل؟

- دخلت طنط ناهد المطبخ.. وجرت إلى صينية البسبوسة.. ضربت علي صدرها هاتفة:

- إيه دا؟

- جميعنا في صوت واحد:

- إيه؟

- البسبـــــــ...... البسبوسة غرقانة عسل!

- اتجهت أعيننا جميعا لطنط سلوى دون كلام.. صدر الحكم بإدانتها دون محاكمة فالأمر واضح وضوح الشمس..

- مالكم بتبصولي كدا ليه؟

- في هدوء مخيف تكلمت جدتي كأنها تحولت إلي جورج قرداحي:

- أنا شفت الصينية لما جت.. كانت شاربة العسل بتاعها ... هدومك عليها عسل وإيدك.. أقول أكتر وللا كفاية؟

- أ....أ...

- جاوبي

- أنا ..لاقيت العسل جنب الصينية ... قلت أشيله لايتكب وا...اا بس لما أتكلم أحمد اتخضيت ووقعت علي نفسي العسل.

- متأكدة؟

- أصبح وجه سلوى أصفر من الليمون..أخرجت لـــسانها تبلل شفتيها..

- أقصد وقع علي الصينية وعليا.

- لم تتمالك ناهد نفسها، فأمسكت سلوى من ذراعها..

- - يعني أنتي اللي كل سنة تعمل فيـــا العملـــة دي .... حرام عليكي يا شيخه

- أجهشت سلوى في البكاء، فتدخل خالي رفعت:

- سيبي إيدها يا ناهد عيب اللي بتقوليه دا.

- ارتمت سلوى علي صدر جوزها تبكي وهي تقول:

- أنا كنت بشيل العسل يا رفعت مصدقني مش كدا

- في تعاطف صادق أجاب خالي:

- طبعا يا حبيبتي ومش أنا بس كلنا ...

- ثم نظر بحدة إلي ناهد:

- وناهد كمان هتعتذرلك علي سـوء ظنـها دا. وعلـي الطريقة اللي عاملتك بيها.

- تدخل خالي جلال في هدوء:

- مافيش داعي للكلام دا يا رفعت. كلنا شـفناها وهـي متغطية عسل وكمان كلامها مش منطقي مايدخلش عقل نملة. يعني سلوى هي اللي المفروض تعتذر لناهد.

- من فضلك يا جلال بلاش تتدخل بين الستات.

- قال أحد المقاريض الصغار ببراءة

- بس حضرتك يا خالو اتدخلت. هو حضرتك ستات؟

- في انتصار واضح قال خالي جلال:

- جاوب بقي..

- تحولت الخناقة من النساء للرجال.. جدي انسحب مـن الموقعة معترضا علي الأسلوب الذي اتبعه خـالي في معالجـة الأمر.. جدتي وقفت في النص بين الخالين حتى لا يتقاتلا بسبب النساء .. الكنتان وقفت كل واحدة خلف زوجها تسانده فيما يقول..

- أما الأطراف الأخرى.. فيتفرجون في صمت..

- بعد نصف ساعة من الجدل تدخل جدي حاسما الموقف. صفق بيديه عاليا فصمت الجميع!

- بذمتكم مش مكسوفين من نفسكم؟ غيرة نسوان تخليكم تاكلوا في بعض من غير ما تعملوا حساب لوجودي؟

- ثم صرخ فينا جميعا بغضب:

- كل واحد منكم علي شقته........... جاتكو البلا

- ثم وجه الكلام لجدتي..

- ايه الخلفة اللي تقرف دي.... يا ساتر

- صاحت جدتي:

- أنا عيالي زي الفل كله من دول

- وأشارت للكنتين المعنيتين..

- وكانت تلك الكلمة ثاني نقطة تحول بعد كلمة المقروض الذي (فتن) على طنط سلوى.. وتحولت الخناقة إلى حرب أهلية .

أسرى حرب

- بعد ليلة رأس السنة، تحولت كل شقة في العمارة إلي جهة حربية. منها المستقل، ومنها المتحد..

- أعلنت جدتي الحرب علي الكناين مرة أخري. وجدي أعلن الحرب الباردة علي أبنائه لإفسادهم يوم مولده. والكناين أعلن الحرب علي بعضهن..

- وتحول الأمر إلي حرب كارثية ،عالمية ،نووية، مميتة. وبالطبع لم يكن هناك حزب محايد مثل العهد السابق. فلقد انحاز كل زوج في الجبهة لزوجته، وحاربا جانب إلي جانب. أليس الزواج شراكة في السراء والضراء؟!

- أصبح الجو العام خانق.. ليس هناك متنفس لأحد. وكعادة كل الحروب العائلية، كنا نحن – الأحفاد – ضحايا المجازر. فلقد صدر مرسوم رسمي بمنع الاختلاط، ليس بين الشباب والصبايا، لا بل بين أبناء فلان وأبناء علان!

- ولأن الحب كالحرب له ضحايا أيضا. وأحيانا يكون ضحايا الحب هم ضحايا الحرب.. فقد تم أسر كل من محمد جلال عبد الرحيم، وهمسة رفعت عبد الرحيم لقيامهما بالخيانة

العظمي لأسريتهما..! حيث تم الإمساك بهما متلبسين بالحديث علي السلم.

- لو كنا الآن نشاهد فيلما حربيا لكانت الموسيقية التصويرية تقول " أن أااااااااااااااااااااااان .... تش "

- نعم.. فيا للعجب وكل العجب. محمد وهمسة في نفس السنة الدراسية ، نفس الدروس الخصوصية ، يسكنان في نفس العمارة.. ومع ذلك يتكلمان مع بعضهما علي باب العمارة!.. وحتى يصبح المشهد أكثر دراما، لم يكن خالي من أمسكهم... بل الملعونة في معظم شقق العمارة اعتماد – خادمة جدتي – فصاحت بصوت عالي:

- والله كويس ياولاد أن اللي بين الكبار أنتم مالكوش فيه..

- وضعت همسة يدها علي فمها وتكلم محمد همسا

- بس يا اعتماد هتفضحينا.

- أما اعتماد – الجزمة كما يقول محمد – أكملت بصوتها العالي

- ليه بس يا محمد ربنا يهنيكم هههههه

- خرجت جدتي وأمي التي كانت معها علي الصوت، لكن المصيبة الكبرى كانت في خروج طنط ناهد من شقتها

- محمد! أنت بتعمل إيه هنا؟

- ارتبك محمد ، نظر لهمسة.. وعندما رآها دامعة العين من الخوف، تشجع. لم يستطيع قلبه الصغير رؤية دموع همسة، فأراد إنهاء الأمر قبل أن يصل لوالديها..

- ولا حاجة كنت راجع مع همسة من الدرس.. حضرتك عارفة أن الوقت متأخر عيب ... ميصحش ترجع لوحدها.

- مصمصت طنط ناهد شفتيها..

- وأنت بقي حامي حما البلاد يا واد وللا إيه؟ ما عندها أبوها ولا أخوها وبعدين هي لو كــ....

- قطع محمد كلام أمه بعد أن تقدم ليقف أمام همسة في مشهد بطولي – يحتاج تصفيق من نوع العالي –

- ماما لو سمحتي.. حضرتك عارفة أن من البداية خالو رفعت ماوافقش علي معاد الدرس دا إلا عشان هي معايا .... وإحنا مش لسه هنعرف همسة النهاردة

- كان صوت محمد عالي من أثر الانفعال، فتدخلت أمي..

- عيب يا محمد ترفع صوتك علي مامتك.. حتى لو كان عندك حق !

- التفتت طنط ناهد لأمي ..

- - بقولك ايه يا أبله، محدش يدخل بيني وبين ابني.

- تدخلت جدتي..

- ولا حد يكلم بنتي كدا

- أمسكت طنط ناهد محمد من ذراعـــه ودفعتـــه ليطلـــع أمامها..

- بس لما ييجي أبوك وهو يعرف شغله معاك.

- جاء صوت من خلفهم:

- أنا جيت.. خير ؟

- ارتعدت أوصال محمد.. فبرغم أن خالي لا يرد لزوجتـــه كلمة؛ إلا أنه شديد جدا علي أبنائه!

- في إيه يا محمد؟ مزعل ماما ليه؟

- أجابت ناهد في حزم:

- خلاص يا جلال في بيتنا نتكلم علي راحتنا

- وجهت نظراهما لجدتي عند النطق بهذه الكلمات!

- وانتهي النقاش، واقتيد محمد وهمسة لمواجهة مـــصيرهما المحتوم كخونة، فتم قطع الموارد المالية عن محمد، وأصبح خالي من يوصله لدروسه ومدرسته

- أما همسة المسكينة، عندما علمت أمها بما حدث، قامت بصفعها بقوة أسقطتها علـــي الأرض، لأنهـــا جلبـــت العـــار للأسرة!!!

- لا ليس لعودتها الساعة العاشرة مساء؛ لا بل لأنها فضلت أن تسير - وبكل وقاحة - مع محمد بدلا عن السير وحـــدها للمترل.

فتى الشاشة الأول

- التنافس بين الأحفاد دائما وأبدا لا ينتهي. هنـــاك علـــي الدوام من يريد الظهور علي السطح ولو لبعض الوقت. وعندما يكون هناك خمسة عشر حفيدًا، فمن الصعب جدا أن يأخـــذ جميعهم الأضواء.. وتظل المنافسة لا تنتهي.

- دائما كنت خارج هذه المنافسة لأنني الحفيد الأكـــبر ، أول من تكلم ، أول من دخل المدرسة ، أول من أصبح روش طحن ، كان الصغار يلجئون إليّ عندما تستعـــصى الموضـــة عليهم كما أنهم لقبوني بفتى الـــشاشة الأول أتعرفـــون هـــذا الشعور؟.. أن تكون رشدي أباظة !

- لست بحاجة لأن أقول أنا هنا .. كم كان الوضع مريحـــا جدا بالنسبة لي. كنت أنظر لهم – الأحفاد – من برجي العالي وأشفق عليهم ... وها أنا أستخدم صيغة الماضي.

- للأسف وجدت نفسي داخل المنافسة، بعد أن سحبني لها ذلك الملعون الصغير محمود ابن خالي مراد.. لو مكنني أحد من رقبته كنت أعدمته رميا باللبان

- مازلت أذكر هذا اليوم جيدا، بحكم أنني بالغ راشد لابد أن أعمل. ولأنني أعمل، لم يكن لدي الوقت الكافي لأجلس مع أبناء خالاتي أو أخوالي. ومع مرور سنة على هذا الوضع، تغيرت مفاهيم كثيرة.. لم يعودوا يسألونني عن شيء؛ بالعكس جاء اليوم الذي يسديني فيه أحدهم النصيحة حتى أصلح من هيئتي !

- كرم

- أهلا أهلا محمود ازيك يا ابني.... واحشني فينك

- موجود أنت اللي فينك؟ نلمحك داخل أو خارج.. لا عدت بتعدي ولا بتسلم..... اللي عطاك يعطينا.

- والله يا حوده الشغل هاددني.. يادوب لما أروح لو فيا حيل بعد ما أكل لقمة أنزل أشوف صحابي شوية.

- هز محمود رأسه أسفا عليّ

- ربنا معاك.. بس يعني ما عندكش وقت حتى عشان تحلق؟

- تحسست شعري بيدي مازال ناعم وطويل قليلا – أنا طوال عمري اترك شعري طويل قليلا ... ما هذا الذي... ؟!!

- ماله شعري يا محمود؟

- نظر لي بعينه نظرة جانبية تفحصية ..

- يعني.. طويل شوية من قدام.. وطول دا مش ماشي مع السوالف.. ويبقي أفضل لو تصبغه بدل مالونه باهت كدا.

- أصبغه ...؟!

- آه خليه عسلي.. يبقي أحلي مع لون بشرتك، أو علي الأقل أعمل كام خصلة بيضا فيه

- أنت أهبل يلا!.. أنت عايزني أشيب نفسي بنفسي؟!.. طيب أستني لما أتجوز وهو هيشيب لوحده.

- مال جانب فمه الأيسر في تنغص قبل أن يقول:

- أنت قديم أوي..........ما أهوه

- أومأ برأسه لأسفل ليريني بعض الشعيرات البيضاء والصفراء..

- إيه دا؟ أنت شفت نفسك في المراية وأنت لسه صاحي من النوم؟ ها ها ها

- ضحك محمود معي ومد يده لي..

- قشطة

- أجبت بتلقائية جدا بما كنت أقوله دائما عنـــدما يقـــال قشطة..

- اتجوزت

- سحب محمود يده، وهز رأسه أسفا مرة أخرى..

- مش بقولك قديم أوي .. أنت من أيام فحت البحر يـــا راجل

- لو أحد قذفني بدلو ماء مثلج لرآه بخارا .

- ليه يا عم الجديد؟

- الوقت لما أقولك قشطه، تقول ومربي .

- صعقت فعلا من التطور ..

- تصدق أنا فعلا قديم ... قوم ياض علي بيتكم..

- لم أستطع في هذه الليلة النوم مطلقا. فلقد أشعرني هـــذا الفسل الصغير الذي لم يتجاوز السابعة عشر بـــأنني عجـــوز ، طوال الليل وأنا أحدث نفسي ..

- ما أنا برضه أكبر منه بعشر سنين

- وأعود لأقول:

- وماله يعني لسه في عز شبابي.

- شباب مين بقي دا أنا طلعت قديم من أيام فحت البحر... فحت البحر.... أنا !

- لم أستطيع تحمل الجدل النفسي أكثر من هذا.. ارتديت ملابسي، وذهبت للحلاق..

- عندما عدت للمترل، قرابة منتصف الليل، كنت قد عدت لمكانتي مرة أخرى.

- مررت علي شقة خالي مراد – بالصدفة طبعا – لأسأله عن أي شيء. فتح لي محمود الباب، وصعق بما رأي.. لقد حلقت شعري علي واحد ، رسمت لحيتي "دوجلاس" ،رفعت سوالفي وقصرتها.. وارتديت " أيس كاب " علي رأسي؟

- نظرت في المرآة القريبة من الباب عند دخولي، وابتسمت إعجابا بحالي.

- لكنني أدركت أني حتى لو كنت قد أثبت أنني مازلت فتى الشاشة الأول، إلا أنني دخلت أرض المنافسة ...!

مش منظر

البرستيج! ما معني تلك الكلمة حقا؟ ألها فعلا معني في القاموس أم أن هناك سيدة ما، في عصر ما، قررت أن تعذب الرجل فاخترعت هذه الكلمة ؟!!!

- حبيبي فين العربية ... لا لا أنا مركبش تاكس.. برستيجي!

- إزاي أروح النادي بالـ (شيميس) دا.... دا مش (سينيه) أنت عايز برستيجي يتهز؟!

آه من ذلك الشبح الذي طارد وعذب الرجال، فارضا عليهم أرزل القيود.

وإذا أراد الرجل أن يحافظ علي برستيج زوجته، فعليه أن يكون مبتسما دائما ، مجامل - في حدود طبعا- ، أنيق ، ولا يمل أبدا من التسوق الأسبوعي معها.

وهناك أيضا بعض الموانع والمحظورات، فلا يكون عصبي ذو صوت عالي و لا يأكل حتى لو كان جائعا.. كيف هذا؟ سأروي لكم وأنتم الحكم.

دخل خالي مراد وزوجته ميادة علي جدي وجدتي ذلك اليوم وهم في حالة من الغضب.. لم يتكلما، لكن وجهيهما حكيا الكثير..

- مالك يا ابني أنت ومراتك شكلكم كدا مش مبسوطين؟

أشاح خالي بوجهه ناحية التلفاز.

- طيب قوليلي أنتِ يا بنتي!

- يرضيك يا بابا أن مراد يحرجني قدام الناس؟

نظر جدي لخالي وهو يجيب:

- لاء طبعا مايرضينيش.. بس هو إيه اللي حصل؟

كانت تلك إشارة لخالي حتى يتكلم، لكنه آثر السكوت، فأكملت هي:

- حضرتك عارف أن النهاردة كان فرح أختي؟

- عارف.

- فيها حاجة لما أطلب من مراد طلب صغير أنه يكون ذوق وما يحرجنيش؟

تدخلت جدتي فورا:

- ومن امتي كان مراد مش ذوق؟!

نظر خالي لزوجته نظرة انتصار.

- أنا ماقلتش كدا يا طنط

(العجيب هنا أن ميادة تقول لجدي بابا وتقول لجدتي طنط)

- أنا قلت أني طلبت منه طلبـــت صـــغير ليـــوم واحـــد، ومانفذوش برغم أنه وعدني.

تدخل جدي..

- طيب يا بنتي قولنا بس ايه اللي حصل.

بكت ميادة وهي تحكي لجدي..

- يرضيك يا بابا أنه يحرجني قدام الناس ويزعقلي ويشدني من أيدي؟

رفع جدي رأسه في ذهول ونظر لخالي شزرا..

- هو أنت عملت كدا؟ ... مش عيب عليك؟ بنت الناس عندك أمانة المفروض تصونها.

قام خالي من مكانه في هدوء واتجه للشباك وهو يقول:

- قوليله أنا ليه زعقت وشديتك من إيدك؟ وطبعا الشد دا معناه الحرفي والحركي اللي حصل أني مسكت إيدها زي الحبيبة وسحبتها علي العربية عشان نتكلم.

قالت ميادة والدموع تتساقط من عينيها:

- شايف يا بابا بيقول سحبتها. هو أنا بقرة هيسحبني؟

- نقي ألفاظك يا مراد ... احكي أنت يا ميادة وقوليلي إيه اللي حصل وخلى مراد يسحبك، أقصد يشدك علي العربية؟

- أكل يا بابا.. أكل!

في عدم فهم حقيقي نظر جداي لبعضهما، ثم لخالي الـــذي تكلم بهدوئه المعتاد:

- فعلا يا بابا دا حصل ... سامحني غصب عني ماقـــدرتش أقاوم وضعفت ... أيوة ضعفت و..

ثم أكمل بصوت عالي:

- أكلت!

- من فضلك بلاش أسلوب التريقة دا ... وبعـــدين أنـــا قلتلك قبل ما ندخل أن البوفيه دا للضيوف.

- هو أنا مش ضيوف؟ ... وفرضنا أني مش ضيوف حصل إيه؟!

- حصل أنك روحـــ ... مش قادرة أكمل..

وأكملت وصلة البكاء، فنظر جدي لخالي ..

- طيب كمل أنت عشان أفهم

- كل الموضوع أن الهانم قالتلي ما تاكلش في الفرح.. الكلام دا الصبح ولأني رجل وحش كنت طول النهار ولحد معاد الفرح من عند الكوافير لبتاع الورد للكوافير مرة تانيه وبعدين الاستوديو.. كل دا من غير أكل. ولما فتح البوفيه في الفرح رحت وجبت لنفسي زي زي غيري طبق!

قالت ميادة من بين دموعها:

- بذمتك ماكلتش؟ مش أنا اديتك في الكوافير باكو بسكوت؟ وبعدين اللي يجيب طبق يـ..... لاء مش عايزة افتكر.

جدي في صبر نافذ:

- قولي يا بنتي جاب ايه؟

- جاب تورته كاملة يا بابا، وكمان فخدة من بتاعة الديك. وللا طبق السلطة.. كان مليان علي الآخر .. المنظر كان وحش خالص، أنا كنت في نص هدومي.

تدخل خالي موضحا:

- يعني أنا جبت دا كله لنفسي؟ مش كان فيه خمس أشخاص غيري أنا وانت علي الترابيزة؟!

- من فضلك ماتحاولش تبرر موقفك.

يسأل جدي:

- أمال زعق أمي وشد أيدك؟

- جاوبي بقي

- لما ... هيء .. هيء.. قلتله أن دا مش منظر وأنه كدا بيحرجني، قام مزعق وقالي تعالي وشدني من إيدي قدام الناس. قال إيه.. شدني عشان يخرجنا نتكلم بره. هو يعني لو قال لي تعالي ماكنتش هاجي؟ ... بس هو كدا دايما بيحب يحرجني ويضيع برستيجي قدام عيلتي.

قاوم جدي ضحكه..

- دا ينفع برضه يا مراد؟ مش كنت تجيب عينات أكل واللي عايز يبقي يجيب لنفسه؟ .. لاء لاء يا ابني هو أنا ربيتك علي كدا!.. لما تكون جعان تاكل وتأكل اللي معاك كمان!... أنا مصدوم فيك..

وسط ضحك ثلاثي بين الجدين وخالي، قامت ميادة إلي شقتها وقد اختفت دموعها، ليحل محلها غضب عارم من تلك العائلة التي لا تقدِّر البرستيج!!

عشاء رومانتيكي

المسلسلات المدبلجة من أكثر الأشياء خطرا علي الحياة الزوجية. من يكون هذا المهند الذي حطم أحلام العديد من الشباب، ورفع آمال وتوقعات النساء؟! أمن المعقول والمنطقي أن يفعل الرجل كل هذا لإرضاء زوجته؟!!! ... لماذا؟ هل هو انتقام ؟... من أين أتوا بهؤلاء الرجال؟ كيف يكون الرجل بهذا الصبر، ليركض خلف زوجته من هنا لهناك؟! اليوم يتقمص دور جرسون وبعد ذلك مراكبي و..... أليس له عمل؟!!... هراء.

خالتي سهام مازالت معلنة الحرب الباردة على زوجها " عمو عصام " من يوم أن أجبرها علي قبول " هيثم " ابن أخيه كعريس لريم .

تلك الحرب مستمرة منذ حوالي أسبوعين.. أوشك الرجل علي الجنون.. فهي لم تترك له شيء ليشتكي منه ، لم تقصر في حق المترل ، طلباته الشخصية من كي الملابس، أكل يحبه وخلافه.. كما أنها مهتمة جدا بأناقتها داخل المترل حتى أنها لا تزيل المكياج إلا للوضوء ثم تعود لوضعه مرة أخري.. لا تعترض علي شيء مطلقا ولا تطالبه بشيء

إنه في الجنة ، هذا حلم كل رجل ... أليس كذلك .. بالعكس كل هذا يحدث وهي لا تخاطبه بكلمة واحدة ، لا ترد

عليه ولا تتواجد معه في مكان واحد أبدا ، الرجل لم يعد يستطيع التحمل أكثر من ذلك.

ريم وهيثم شعرا بالذنب لما حدث، فكرا في ألف حل للمشكلة و لم تجدِ أي من حلولهم. وفي يوم جاءت تلك الحلقة في ذلك المسلسل الذي جهز فيه الرجل عشاء رومانتيكي لزوجته وأتي بعازفة كمان ،ورود ، شموع لعمل طريق وصولها للطاولة المزينة .. أيعقل هذا؟ .. محال!

المهم، شاهدت ريم تلك الحلقة وقررت عمل عشاء رومانتيكي لأبويها علي أمل أن تتم المصالحة. أخذت من جدي مفتاح السطح - في السر طبعا حتى لا تعلم اعتماد وتفسد - أخذت من خالي مراد طاولة المطبخ وكرسيين.. لماذا خالي مراد؟ لأنه يسكن في الطابق الأخير وبذلك لن تشعر خالتي بانتقال الطاولة والكراسي

بعثت العبد لله لشراء العديد من الشموع الكبيرة ذات الروائح الزكية ، ورود ، أحبال نور ملونة صغيرة — صيني —

كل هذا جميل ... المشكلة تكمن في كيفية مرور كل تلك الأشياء تحت أنف اعتماد دون أن تراها.

خطرت لزهرة — أختي — فكرة وبدأنا التنفيذ. افتعلت زهرة مشكلة مع أمي — المتواطئة معنا بالطبع — علا الصياح

عندنا فأسرعت اعتماد طبعا لبيتنا لترى مـا هنـاك وخلفهـا جدتي.

- مالكم يا ولاد؟ فيه إيه صوتكم عالي؟

تكلمت أمي بحرارة :

- اشهدي يا ماما علي مقصوفة الرقبة دي.

- من فضلك يا مامتي ماتقوليش مقصوفة الرقبة.

- لأ مقصوفة الرقبة وأقول اللي أنا عاوزاه.

- دي مش طريقة أنا ما عدتش صغيرة.

ظل التناوش بين أمي وزهرة علي هـذا المنـوال ، جـدتي واعتماد لم يفهما شيء

تساءلت جدتي..

- بس لوحد فيكم يقولي في إيه؟

في تلك الأثناء بدأ الفريق الثاني في العمل. كما أن خـالتي قد انضمت لجدتي واعتماد في محاولة لفك الاشتباك بين أمـي وأختي، اللتين برعتا فعلا في تمثيلهن، واستطاعتا وبكل جـدارة إلهاء الجميع وبالأخص المدعوة اعتماد.

بعد حوالي ساعة أعطيت إشارة فك الاشتباك لزهرة برنـة علي تليفونها المحمول.

خالتي تحايل زهرة:

- يا زهرة يا حبيبتي قوليلي بس إيه اللي حصل انتِ شايفة حالة أمك بقت ازاي

تكمل جدتي:

- ربنا يهديك يا بنتي بس فهمينا ..

وتنظر لأمي..

- طيب أنتِ قوليلي

غمزت زهرة لأمي..

- البنت دي ماعدتش بتسمعلي كلمة خلاص.

تبكي زهرة وتجلس أمام أمي علي الأرض ممسكة يـــدها في تضرع..

- عندك حق يا مامتي أنا أسفة.

تتساءل أمي لتكمل المسرحية :

- ولو اتكرر تاني ؟

تقبل زهرة يد أمي..

- ولا عمري هكررها تاني ياست الكل ... سامحيني!

تقبل أمي رأس زهرة..

- سامحتك.

قامت زهرة واحتضنت أمي في وسط نظرات ذهول الحضور!

وجاء موعد الجزء الثاني من الخطة..

طرق شديد علي باب شقتنا ، قامت أمي لتفتح ، دخل خالد ابن خالتي سهام يلهث

- ماما الحقي ريم

انتفضت خالتي من مكانها

- مالها؟

- مش عارف أنا لقيت الورقة دي علي السرير بتقول ...

شدت خالتي الورقة من يده ونظرت فيها ، ابيض وجهها من الفزع ،أسرعت تركض لشقتها والجميع خلفها. لم تجدها في البيت.. نظرت لخالد الذي أشار بإصبعه إلي أعلي دون أن يتكلم..

صعدت الدرج مسرعة ، عندما اقتربت من السطح سمعت موسيقي نظرت لخالد في ريبة ، دفعت الباب بيدها ودخلت..

كان السطح مضاء كله بأنوار متلألئة – قلنا صيني – أمامها طريق من الشموع الصغيرة الذي يؤدي في النهاية لطاولة عشاء مزينة بالورود والشموع ومفرش حريري أحمر.. عمو عـــصام يقف عند الطاولة مرتديا بدلته السوداء ومصفف شعره عنـــد الحلاق ، تقدم نحوها مبتسما ومد يده..

- تسمحيلي بالرقصة دي؟

في ذهول مدت يدها لزوجها الذي أخذها وراقصها.. كل هذا وخالتي لم تتكلم كلمة واحدة كأنها تحاول أن تستوعب ما يحدث واحدة واحدة.

وقف الجميع مبتسما يشاهد ما يحدث ، لف عمو بخالتي في حركة دائرية لتقع عينيها علي خالد وريم ، دفعت زوجها دفعة بسيطة لتخلص نفسها منه وذهبت لتمسك ولديها من رقبتهم

- أنتم ... أنتم كنتو هتموتوني يا...

وضع زوجها يده علي كتفيها وأدارها ناحيته

- انسيهم شوية وخليكي معايا

طاوعت زوجها ورقصا قليلا ثم أخذها للطاولـــة ســـاحبا الكرسي و.....

حسنا لقد نفعت تلك المسلسلات هذه المرة لكن هـــذا لا يعني أن ....لماذا أتعب حالي ... لقـــد أنتـــهيت مـــن تلـــك القصة....

عودة الإبن الضال

الهجرة ... العديد من الشباب يفكر بالهجرة لبلاد أخـــري، إما من أجل توفير حياة كريمة، أو من أجل المغامرة. في كـــل الأحوال سواء من أجل المال أو المغامرة، شرعية أو غير شرعية، دائما يكون هناك عواقب.. ربما حميدة وربما ليست كذلك.

خالي حاتم هو أصغر أخوالي. بعد أن تخـــرج مـــن كليـــة الهندسة، كما كان يحلم جدي، قرر أن يهاجر ليحقق أحلامـــه الخاصة. قدم طلب هجرة لكندا، وأستطاع فعلا الحصول علي الموافقة.

تحطم قلب أبويه إثر سفره. وأصبح من المحرمات التكلم في هذه القصة نهائيا. طوال خمسة عشر عاما لم يزر خلالها مـــصر ولا مرة واحدة ،داوم علي الاتصال بجدتي مـــرة لا تتجـــاوز الخمس دقائق كل شهر. عرفنا من تلك المكالمات أنه تـــزوج وأنجب بنتين وولد وهذا كل شيء. ومع مرور الوقت، تعودنا عدم وجوده حتى أننا لم نكن نسأل عنه إلا حين اتصاله هل هو بخير؟ كيف صحته وعمله؟ ثم يقفل الحديث بالإجابة الحمد لله!

ذلك اليوم، عاد خالي حاتم دون سابق إنذار. دق الجرس.. وكان هناك!

ضربت اعتماد علي صدرها..

- مش معقول!

تقدم خالي بطريقته الخاصة ومد يده يدغدغ اعتماد..

- هو إيه دا اللي مش معقول ... طبعا أنك بقيتِ عجوزة يا عجوزة..

صوت جدتي من الداخل:

- مين يا اعتماد

يضع خالي إصبعه علي فمه..

- ششش .... ولا نفس

تقدم بخطوات هادئة من باب غرفة المعيشة، ثم أمسك الباب ومد رأسه..

- أنا جيت..

قامت جدتي من مكانها منتفضة - علي غير عادة (الروماتزم)- مادة ذراعيها لتحتضنه وهي ترتعش.. ارتمي خالي في حضنها، وأخذت تبكي .

- كدا يا وحش أهون عليك كل دا ... كدا .. أنا قلت هموت ومش هشوفك.

ابتعد عنها قليلا لينظر في عينيها الدامعتين..

- ايه يا زوز أنتِ عايزة تكبري نفسك ولا إيه .. دا أنـــتي لسه في عز شبابك.

بالطبع عيناه لاحظت ما فعلت الخمسة عشر عاما في أمـــه. أحنت ظهرها قليلا وتركت آثارها جانب العيـــنين والفـــم ، شعرها الذي تحول للأبيض..

التفت خالي خلفه..

- تعالو أنتم مكسوفين؟

لأول مرة تلاحظ جدتي وجود أحد غير خالي في الغرفـــة. كان هناك زوجته وأبناءه. تقدمت الزوجة أولا..

- ماما أقدم لك ليندا حبيبة قلبي ومراتي.

فحصتها جدتي من رأسها لأخمـــص قـــدميها، ثم رسمـــت ابتسامة متكلفة علي وجهها..

- أهلا ... أهلا

مسحت دموعها وهي تسال خالي:

- وللا أقول welcome

ردت ليندا قبله..

- سلامو أليكم ... أنا أفهم أربي كويس وأتكلم كمان..

أشرق وجه جدتي..

- وعليكم السلام يا حبيبتي نورتي مصر ونورتينا ...

ثم نظرت خلف ليندا لتقول ..

- ودول بقي حبايب قلب جدتهم

تقدمت الفتاة الكبرى

- أنا فاطمة كدتي كيف هالك؟

احتضنتها جدتي، لكنها أفلتتها بسرعة لما شعرت بتصلب جسد الفتاة في حضنها. تقدمت الفتاة الأخرى..

- أنا آائشة .... hallo gran

نظر خالي لابنته شزرا فأصلحت من كلامها:

- أقصد كيف هالك كدتي؟

- الحمد لله في نعمة يا حبيبتي.

في فتور كان سلام البنتين، وجاء دور الصبي الصغير.. كان في السادسة من عمره، ويشبه خالي كثيرا. أقبل علي جدتي وقبل وجنتيها..

- أنا مهمد أرفه ألا اسم مين؟ اسم الرسول

ضحكت جدتي..

- عارفة

- ارفة انه اسمي ولا ارفة اسم الرسول

ضمته جدتي..

- الاتنين

ثم نظرت لخالي في حنان..

- شكله كدا هيطلع لأبوه في لامته

نظرت زوجة خالي وأبناءه لبعضهم ثم لخالي في تساؤل عن معني الكلمة وتكلم محمد

- لاماته دي زي اللمبة اللي بتنور

قال خالي ضاحكا

- لاء يا محمد دي يعني لمض تقدر تقـــول .....مـــشاكس وبيناقر بالكلام

ابتعد محمد عن جدتي غاضبا ثم ارتمي في حضن أمه باكيا..

- جراني بتقول عليا لمض ....إهيء mam I'm not knotty(أنا مش شقي)

تكلم صوت من خلفهم..

- محدش يقدر يقول لمحمد نوتي وجده موجود.

التفتت الجميع ناحية الباب ، كان جدي واقـــف مـــتجهم الوجه رافع إحدى حاجبيه ، تقدم خالي منه في خجل ووقـــف أمامه..

- إزيك ياحاج

- بعد ١٥ سنة جاي تقول إزيك وتمد إيدك

ثم ضحك جدي وفتح ذراعيه

- تعالي هنا ياولد في حضني

ارتمي خالي في حضن جدي باكيا

- وحشتني قوي يا بابا

- أنت أكتر

- طيب ليه ما كنتش بترضي تكلمني كل المدة دي

رفع جدي وجه خالي لينظر إليه

- عشان أوحشك ... فترجع

كيشه

تختلف المصطلحات من بلدة لآخري .. فالشيء نفسه يختلف اسمه من مكان لآخر. مثلا السيبيا في مدن القناة هي السبيط في الإسكندرية وهكذا .. هذا ونحن في نفس الدولة.... كيف يكون الحال بين دولة ودولة أو بين قارةوقارة..

بعد عودة خالي حاتم من الخارج، استقر مؤقتا في شقة جدي، حتى يتم تجهيز شقته. كان هناك بالطبع صراع حضارات، لكن ليست هذه قصتنا.

في يوم السبت من كل أسبوع يأتي (منوفي) ليمسح السلم وينظفه. السبت الماضي لم يأت.. وأرسل من يخبرنا بأنه سيأتي وقت أن يستطيع.

في ظهيرة يوم الاثنين، دق جرس الباب. ولانشغال اعتماد في الإثبات لليندا أنها سيدة البيت الثانية بعد جدتي، قامت فاطمة بفتح الباب. كان منوفي الذي تفاجأ بها، فقد كان يتوقع اعتماد

- سلامه عليكم

- أليكم سلام

حك الرجل جبينه

- هوا ... مش دا برضك بيت الحاج عبد الرحيم

- أها

كلم نفسه:

- وأها دي تطلع إيوة وللا لاء؟ .....إيه الحوسة دي!

ثم وجه الكلام لفاطمة:

- ألا الحاجة فين؟

- جراني تصلي وجران مش موكود.

رفع يده ليهرش في شعره..

- يا سنة سوخه دي أها كانت أرحم .... لاء يا مس ... أنا بقول الحاجة مش الجيران.. أنا مالي ومال الجيران! بقول الحاجة الحاجة.

- أنا أكول جراني بتصلي

ثم تنبهت لكلمة جراني..

- أقصد كدتي تصلي

- طيب اعتماد

- ثواني

- لاء لاء تعالي ماتعيطيش عليها قوليلها بس تجيب خيشة وشوية ميه لحسن الحنفية مش شغاله

شعرت فاطمة بالارتباك.. لماذا تبكي علي اعتمـــاد؟ ومـــن يكون خيشة؟ .... لكنها استدارت لتفعـــل مـــا اســـتطاعت فهمه.. عادت حامله كوب ماء..

- تفضل

نظر منوفي للكوب في ريبة..

- إيه دي

- شوية مايه ...

- دي أعمل بيها ايه ... أنقط ولا أشربها وابخ؟

لم تفهم فاطمة بالطبع ما يقول كما لم يفهمها هو..

- بوك! ...إيه دي؟ ....أنت بتكول إيه؟

- بتكول! .... روحي يا شاطره اندهيلي حد كبير اتحدث معاه.

دخلت فاطمة غاضبة علي جدتي..

- جراني فين كيشة؟

- مين يا بنتي؟

-كيشه جراني كيشه.

- تقصدي عايشة؟ في الاوضة جوه.

- لا جراني.. كيشة موش ايشه.

- والله ما أنا فاهمة.

نادت جدتي علي ليندا لتفهمها ما تقول فاطمة..

what you want?

(عايزةإيه)

There is someone at the door asking about khesha

(في حد عند الباب بيســـأل علي خيشة)

what the meaning of khesha

(يعني ايه خيشة)

I don't know I think it's someone name

(مش عارفة أعتقد دا أسم حد)

التفتت ليندا لجدتي..

- في هد هنا اسمه كيشه؟

- لاء يا بنتي هو كيشه دا اسم ؟

وجهت ليندا الكلام لابنتها، وأخبرتها أنه لا يوجد خيشة في المترل. عادت فاطمة لمنوفي علي الباب..

- سوري مافيش هد كيشه هنا.

وأغلقت الباب!

وقف منوفي ثواني في ذهول يكلم نفسه

- مافيش حد خيشة ..... دا جنان دا ولا إيه .... أكونشي دخلت عمارة غلط

خرج منوفي من باب العمارة ليتأكد أنه في المكان الصحيح

- ألاه .... أمال إيه اللي حوصول الوجت دا؟!

عاد منوفي ودق الجرس مرة أخرى ، فتحت فاطمة أيضا..

- يا مس أنا مش بسأل علي خيشه أنا عايز خيشه ومايه..

فاطمة ضاق صدرها..

- أنت مش إفهم ليه ... كولت مافيش هد كيشه.

وأغلقت الباب مرة أخرى. هرش منوفي في رأســـه ثم أدار وجهه وأخذ ينظر حوله يفتش عن شيء ما..

- ألاه هما فين ... أني مش شايف أيتها كامرات يعني .... لو دي مش الكامرة الخفية يبقي إيه دي؟ ... إيه دي

عاد ودق الجرس للمرة الثالثة.. في تلـــك المـــرة فتحـــت اعتماد..

- اعتمااااد

قالها وكأنه وجد طوق النجاةز

- أهلا يا منوفي وشك ولا القمر.

- ألا مين اللي فتحت الباب من شوية ؟

- وأنت مالك أنت .... عايز إيه؟

هز رأسه كأنه ينفض شيء عنه

- علي رأيك .... الحنفية اللي تحت دي خربانه وأني مش عارف أفتحها هاتيلي من عندك حبة مية وخيشة الله يسترك.

صاحت اعتماد

- خيشه...........آآآآآآآآآه

تركته اعتماد واقف علي الباب فاتح فمـــه في اســـتغراب، وأسرعت إلي جدتي تضحك مجلجلة..

- خيشه يا حاجة خيـــــــــشه

الانتقام

إذا فعل أحد ما بك فعله ضايقتك كثيرا، كما يقال " طلعت من نفوخك "، هل تسامحه بمجرد أن يعتذر؟ أم إذا أتتك الفرصة سترد له الصاع صاعين؟!

لم تستطع ميادة نسيان ما فعله خالي مراد يوم عرس أختها وكيف أنه استهزأ بها هو ووالداه، فأخذت تخطط له.

في يوم الأحد من ذلك الأسبوع، كان لدى خالي لقاء عمل مهم، حيث أن عميل ما جاء بصفقة حسب تعبير خالي

" ستعبر بشركته لبر الشركات الكبرى"

أخذ يكلم زوجته عنها وعن مدى أهمية مظهره أمام ذلك العميل. وكانت الفرصة التي تحلم بها ميادة..

استيقظ خالي متأخرا، لأن المنبه لم يرن – صدفة – قفز من السرير وهو يصرخ ينادي زوجته..

- ميادة .... ميادة

لم يسمع رد ، دخل الحمام وخرج سريعا يبحث عن أمواس الحلاقة ، لم يجدها في مكانها ولا في أي مكان

- ميادة .... يا ست ميادة

خرج للصالة عندما لم يسمع رد ... لم يجد أحد لا هي ولا الأولاد، حدث نفسه بصوت عالي..

- راحت فين دي بس .. طيب أجهز أنا وبعدين أنزل للحلاق بسرعة

فتح الدولاب ليخرج بدلته ... صرخ

- إيه دا ... فين الهدوم

فتح الدولاب الآخر لم يجد سوى ملابس زوجته. أسرع للهاتف يطلب زوجته بعد رابع اتصال أجابت..

- ألو حبيبي..

صاح غاضبا:

- أنتِ فين يا هانم؟

في هدوء مستفز ومرح ظاهر أجابت:

- هو أنا مش قلتلك امبارح قبل ما تنام يا حبيبي أني رايحه أنا و الولاد عند ماما؟ ... شكلك نسيت

- لاء محصلش.. لأني استحالة كنت أوافق تروحي النهاردة بالذات، وأنتِ عارفة عندي إيه.

لم تجب، فأكمل هو:

- وبعدين فين الهدوم؟

ضحكت ..

- الهدوم ... الهدوم..

- ميادة!

صاح محذرا.

- آه افتكرت.. ودها للتنضيف.

- نعم!

- مالك يا حبيبي بس؟ مش أنا دايما بوديها للتنضيف؟

استشاط غضبا..

- يعني ايه؟ ألبس أنا إيه الوقت؟

في شماته واضحة..

- عندك الجيتر وأي سويت شريت في دولاب التطبيق.

- إيه!

- مالك بس؟ ... علي فكرة أنت عصبي خـــالص وأنـــا مبحبش كدا.

استطاعت ميادة في دقائق قليلة أن تجعل الـــدماء تغلـــي في عروق خالي

- هو أنتِ لسه شفتي عصبية؟

قاومت ميادة الضحك، وافتعلت الغضب..

- لاء أنا مقدرش أكمل حوار بالشكل دا .... لما تهـــدي أبقي كلمني سلام.

ألقي خالي تليفونه المحمول عرض الحائط فسقط علي الأرض أربع قطع

- لاء لاء لاء

جمع خالي قطع التليفون بيده وهو مازال يردد

- لا لا لا

دار حول نفسه

- أعمل إيه أعمل إيه ... آه يا ميادة بس لما أشوفك دا أنا هـــ... هـــ... ماشي الصبر حلو

خرج خالي من شقته ليطرق باب شقة خالتي سهام فهـــي أسفل لشقته . صعقت ريم من مظهر خالي عندما فتحت الباب فقد كان منكوش الشعر وعينيه يطل منهما الشرر ، مد يـــده بقطع التليفون

- تعرفي في التليفون دا؟

- مالك يا خالو أنت كويس؟

في نفاذ صبر..

- تعرفي تركبي التليفون دا؟

أمسكت ريم التليفون بيدها تقلب فيه

- لا يا خالو التليفون دا خلاص كل سنة وأنت طيب.

- يعني إيه والأرقام اللي عليه؟

- إهدا بس يا خالو هي الأرقام علي الفون ولا الميموري؟

- مش عارف.

جاءت خالتي سهام علي الصوت ..

- يا لهوي مالك يا مراد

أشاح بيده..

- مش وقته

أخرجت ريم شريحة الذاكرة من الحطام وأدخلتها في تليفونها

- آه يا خالو في أسامي كتيرة عايز أي أسم

أشرق وجه خالي لأول مرة منذ أن استيقظ..

- محمود شاكر

شد خالي التليفون من يدها

- معاكي رصيد ....هعمل تليفون

أجري خالي مكالمته، ومن حسن حظه أن العميـــل بـــادره بالكلام معتذرا

عن موعد الغداء لأسباب شخصية مطالبا إياه بتغير الموعد للمساء.

عاد خالي لشقته ، سمع صوت قادم من غرفة النوم هل يعقل أن يكون هناك سارق ، تقدم بحرص من الغرفة فإذا بأحد أبنائه يركض خارجا. تفاجأ الاثنان

- معز أنت بتعمل إيه هنا؟

صاح معز مناديا علي أمه كأنه لم يسمع سؤال أبوه

- مامي .. مامي بابي جه

خرجت ميادة من غرفتها مبتسمة..

- أنت جيت يا حبيبي؟ ...

ثم أشارت بلوم علي ملابسه..

- أنت كنت فين كدا بالبيجامة؟ تؤ تؤ أنا زعلانة منك

تحول المرح الظاهر علي ملامحها وصوتها إلي قلق عندما رأت تعابير وجه خالي لكنها أكملت..

- أنت مش بترد عليا ليه؟ أوعي تكون لسه مهدتش ...

اقترب خالي منها ببطء، ومع كل خطوة تقربه منها ترجع هي خطوة للخلف

- إيه يا مراد مالك؟

لم يجب وأكتفي بأن يصر علي أسنانه ، لم يعد هناك مكان للتراجع فلقد ألتصق ظهر ميادة بالحائط ، أصبحت ميادة في مواجهة خالي. أخذت في الارتعاش اللاإرادي رغم محاولتها لتبدوا هادئة..

صاح محمود من خلف أبيه:

- يا ماما تعالي شوفي البيه اللي مخلفاه عمل إيه في جذمتي.

كانت تلك اللحظة التي استطاعت ميادة الهروب فيها

- جايه يا حبيبي حاضر.

أمسكها خالي بسرعة من ذراعها ومنعها من الهرب

- كنتي فين؟

- الولد ... يا مراد اشوفه بس ورجعلك.

كأنه لم يسمعها..

- كنتي فين؟

- ما أنا قلتلك ولا أنت فاكر أني نسيت الأسلوب اللـــي اتكلمت بيه معايا؟ علي العموم أنا مسامحاك بس عشان شكل صباحك كان مش حلو.

صاح بغضب..

- أنتي لو عند مامتك تلحقي توصلي إزاي؟

- أنا ما قلتش مامتي أنا قلت ماما.. كنت أقصد مامتك.

ابتعدت عنه قليلا بعد أن حررت ذراعها..

- تقدر تسألها لو تحب.. بس من فضلك وطي صـــوتك.. أخواتك يقولوا إيه؟

استفزت خالي أكثر بكلامها..

- أوطي صوتي؟ دا أنا هكسر الدنيا..

تصنعت المفاجأة ..

- ليه؟ إيه اللي حصل؟

- فين هدومي يا هانم

- ما أنا قلتلك! أنت النهاردة بتنسي كتير ... أنت كويس؟

ضرب خالي الحائط بيده..

- يعني أقابل عميل مهم بالجيتر والتي شريت؟

صححت له بتلقائية ندمت عليها فورا..

- سويت شريت..

نظر لها خالي نظرة أرجعت الكلام إلى حلقها.. خرجت الكلمات من بين أسنانه بطيئة..

- سويـــــــــــت شريــــــــــــت؟ زي العيل؟

- يعني أنت بتعترف أن المظاهر مهمه أهوه!

تكلم خالي من بين أسنانه..

- تفتكري دا وقته؟

- طبعا..

كان الانتصار والزهو واضح علي صوتها ومحياها

- دا عز وقته.

نظر خالي في ساعته، فوجد أن موعده يقترب، فكظم غيظه..

- أنتِ بتعاقبيني؟ يعني مصلحة شغلي ما تهمكيش؟

- ابتسمت بحنان..

- تهمني طبعا يا حبيبي، وعشان كدا البدله بتاعتك الـبني والقميص المقلم الجديد في دولاب محمـود ابنـك مكـويين ونضاف تقدر تلبسهم.

ها .... ماذا أقول؟ مغامرات عائلتي لا تنتـــهي أبـــدا. لكنني أنا من انتهيت من تسجيل مغامراهم لأنـــني بـــدأت مغامراتي الخاصة ..

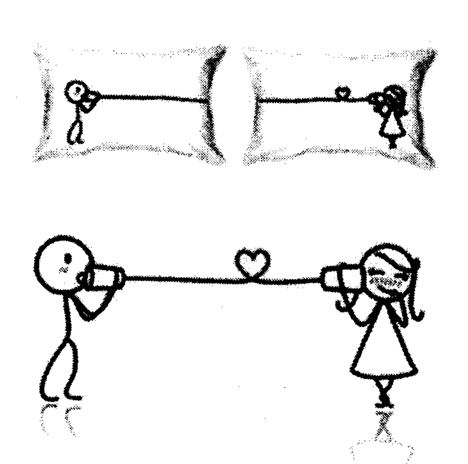
ليس هذا وقت الحديث عن مغـــامراتي فقـــد تزوجـــت وكانت زيجتي... ستعرفون أيضا..

في النهاية عائلتي مجنونة أحيانا ... مشاكلها كثيرة نعـــم .... لكنها أيضا محببة لطيفة.

وعلي رأي الشاعر الكبير بعرور..

أكل العسل حلو بس النحل بيقرص !!

حكايات زوجة نكدية جدا جدا



المقدمة

منذ قديم الزمان تناقلت الألسن حكايات ألف ليلة وليلـــة ومنها عرفنا شهريار الملك الجبار الذي يقتل كل ليلـــة امـــرأة. أيضا سمعنا عن ست الحسن والشاطر حـــسن ، عـــن كريمـــا وحليما وفاطيما ومعهم ريما اللئيمة. تناقلنا العديد والعديد من القصص عن حوريات، ساحرات ومشعوذين.. عـــن عنتـــرة وعبلة ، عن قيس وليلي حتى أمتزج الواقع بالخيـــال و لم نعـــد نفرق بينهم. لكن كان هناك دائما شيء واحد متفق عليه ،علي مر أجيال وأجيال شيء واحد لا يستطيع أحد أن يخون عهـــده ويفشيه كانت هناك عزيزة .....

حرصا علي أمن الرجال العام ومنع انتشار عدواها تم التكتم علي أمرها. فعزيزة لم تدخل مجتمع مـــا، كـــبر أو صـــغر، إلا وأصبحت كل النساء عزيزة وكل الرجال ضحايا ذليلة. إلى أن استطاع أحد الأشرار فتح الستار عن قصة عزيزة فجئت بهـــا لأقصها عليكم لكن في البداية أحب أن أنوه، أن أحذر..

يا رجال العالم احذروا عزيزة قادمة

يا نساء العالم تعقلن فعزيزة لم تكن يوما باللذيذة!

أسبوع النكد الأول

الليلة الأولى

في حي راقي من أحياء قاهرة المعز وقفت سيارة عروسين أمام عمارة كبيرة. حمل العريس عروسه وخطا بها عتبة منزلهما لأول مرة. أنزلها برفق علي الأرض، وأمسك بوجهها بين كفيه..

-أنا مش مصدق ياحياتي ... أخيرا بقينا لبعضنا

خفضت رأسها أرضا

-هيه.... متكسفنيش بقي ... بس الليلة كانت تجنن

-عندك حق أنا تخيلتها كتير بس بالجمال دا لاء

رفعت وجهها في غضب وصاحت به

- تخيلتها ... مع مين إن شاء الله .....آه مع سامية البت المعصعصة جارتك مش كدا ... أنا كنت عارفة إن في حاجة بينكم

اقترب أكثر منها وأحاط خصرها بيده

-سامية مين الوقت .. ياحبيبتي هو أنا ممكن أبص لغـــيرك برضه

-حاسب إيدك... هتضحك عليّ بكلمتين

ابتعدت عنه بضع خطوات في دلال

-يا حبيبتي دي ليلة العمر.. تفتكري ممكن أفكر في غيرك؟ سامية ونادية وعايدة مين بس !

ضربت صدرها بيدها، قبل أن تصرخ، وتضع يدها علـــي رأسها

- يالهوي هو كمان في نادية وعايدة ......فينك يا مامـــا تشوفي اللي بنتك فيه

اقترب منها مندهشا

- هي حصلت ماما ... يا حبيبتي روقي أنا كنت هزر

-إهيء ...إهيء

أمسك ذقنها بيده، ورفع وجهها ليرى عينيها ..

- طيب متزعليش أنا آسف

ثم طبع قبلة حانية علي جبينها

- خلاص بقى ..... سامحيني

- عايزني أسامحك؟

تهلل وجهه

- أكيد يا عمري

- طيب قولي مين نادية وعايدة دول

خفض ذراعيه مللا

-ياه بقي كده كتير

رفعت رأسها في عزة نفس

-مدام كتير يبقي أخرج بقي وسيبني لوحدي ... حرام تستحمل كل ده

استسلم الزوج المسكين لطلبات الزوجة، وجلس علي المقعد في انتظار أن تطلبه أو أن تخرج له. طال انتظاره بلا جدوى.. وحينما قرر أن يدخل لها حاملا في يده وردة حمراء من الباقة التي أهديت لهم بمناسبة الزواج، خرجت له حاملة شنطة صغيرة.

في دهشة ممتزجة بالرعب سألها:

-علي فين ؟

تخطته متجهة للباب وهي تتكلم:

-إيه؟ أنت فاكر ماليش أهل؟

وقف بينها وبين الباب

- يا حبيبتي عيب.. الناس تقول إيه بس!

حاولت أن تزيحه جانبا، وعندما فشلت، وضعت يـــديها في خصرها رافعة حاجبها حتى كاد أن يلمس طرف طرحتها ..

-الناس! أنا ماليش دعـــوة بالنـــاس! هتوصـــلني ولا أروح لوحدي؟

-هتقوليلهم إيه بس؟ وبعدين مافيش سبب .

أمسك كتفيها بيديه لتهدئتها ..

- يا حبيبتي إهدي شوية نتكلم ... نتفاهم

أبعدت يديه في حنق، وقلدت طريقته في الكلام معرضة في طبقة صوتها ..

-مافيش سبب .... نتكلم ..نتفاهم ... لما أعـــرف ليلـــة جوازي أن جوزي يعرف عليّ سامية ونادية وعايدة، أمال بعد سنة هتعمل إيه؟

ابتسم في حنان، وأحاط كتفيها في دفء ..

-يا حبيبتي دا كان كلام.. أخدت أسم سامية وجبت اللي شبهه.. يعني برضه في حد يحب واحدة أسمها عايدة؟ دي تبقي قد أمه

نظرت في عينيه لترى مدى صدقه ..

- بتتكلم جد؟

لمس خدها بطرف أصبعه في حنان

- هو أنا عمري كنت جـد زي النـهاردة؟ دا حـتى في موضوع جد جدا كنت عايزك فيه بس مش هنا

ضحكت في دلال..

- أمال فين؟

- هقولك

وبعد محاورات ومفاوضات استغرقت أربع خمس ساعات، وافقت العروس علي بالبقاء بشرط عدم ذكر أي أنثي في هـذا المترل سواها

***

الليلة الثانية

أغلق مدحت الباب خلف حماته وأسند ظهره علي الباب ثم أطلق زفرة طويلة قبل أن يتكلم

- أخيرا ياحبيبتي لوحدنا

اقترب، منها فابتعدت عنه رافعه حاجبها الأيمن - تقصد إيه؟ هي ماما كانت قاعدة علي قلبك ولا إيه؟

ابتسم ابتسامة صفراء حاول أن يدارى بها ما يعتمل بقلبه

-لاء ياحياتي طبعا ....بس في حد يزور حد برضه يوم الصباحية؟

قلبت عزيزة " العروس " وجهها ..

- هي في أم مابتزورش بنتها يوم الصباحية؟ وبعدين هي كانت قعدة تتضايف؟ دي كانت جاية معاها المحمر والمشمر

-آه جابته وجابت اللي يكلوه

قالها وضحك، لكن ضحكته قتلت علي شفتيه بفعل السهام التي أطلقت من عينيها

-ليه؟ هما أخواتي كلو حاجة من جيبك؟ .... كله من عز بابا

ارتسم الضيق علي محياه

- أنا قلت حاجة برضه....

ثم اعتدل في وقفته مستخدما حجج الإقناع التي لديه..

- بس يعني جابو الأكل الساعة ٢ والساعة الوقت ١٠ يا دوب نازلين.. دا ينفع؟ مش برضه يابخت من زار وخفف خصوصا في شهر العسل يا عسل؟

ضرب علي ساعة يده بإصبعه، قبل أن يحاول إحاطة زوجته بذراعيه، فأجهضت عزيزة المحاولة بابتعادها عنه مستخدمة ذراعيها ويديها في تمثيل ما تقوله

-إيه دا إيه دا! أنت من أولها هتقولي بيجوا وخفف! لاء دا بيت بنتهم ينوروا أي وق .

هز رأسه موافقا ..

- ماشي.. دي جوا عنيا عشان خاطرك يا قمرة أنتِ.... بس مش من أول يوم كدا

-بقولك إيه قفّل أحس .

أشارت بيدها مؤكدة ما تقوله

- علي رأيك مش عايزين الليلة دي كمان تبوظ

وضعت يدها علي صدرها في حسرة

- تقصد أن أنا اللي بوظت ليلة أمبارح؟

ثم أشارت بإصبعها في وجهه حتى كادت تخترق عينيه لولا أن تفادها.

- اللي بوظها عينك الزايغة

- بقولك إيه صلي علي النبي كدا.. فات يومين من الأجازة بتاعتي، كلها خمسة ايام خليهم بقي يبقو عسل ..

-ولو مخلتهمش هتعمل إيه يعني؟

أعطاها ظهره وأشاح بيده

-ولا حاجة تصبحي علي خير .

-إيه دا أنت هتسبني وتنام؟

وقف في مكانه دون أن يلتفت لها

- آه عندك مانع

-إهيء أهيء ياعيني عليا وعلي بختي

استطاعت أن تجعله ينظر لها ..

- مالوا بختك إن شاء الله؟

-مالو ... مالوش ... إهيء إهيء

لم يحتمل أن يراها تبكي، فابتسم برفق وربت علي كتفها

-طيب خلاص ما تزعليش ويالا نحضر العشا مع بعض.

مسحت دموعها وقالت في دلال :

-العشا ... ومين ليه نفس ..

-طيب يالا نفتح فيلم كوميدي يروقلنا الجو..

هزت كتفها معترضة

-أنا عايزة أشوف تو

رفع حاجبيه وضيق عينيه في مزاح، وهو يعبث بخصلات شعرها المنسابة

- ليه في إيه النهاردة؟

أشرق وجهها وهي تتكلم..

- في فيلم رعب أول عرض .

صدم مدحت وأنزل ذراعيه جانبه

- رعب! ... بقولك كوميدي تقولي رعب!

غضبت من اعتراضه علي الفيلم..

-مادام أنت مقرر هتتفرج علي إيه كنت بتشاورني ليه؟

- ياحياتي فيلم رعب إيه داحنا لسه خالصين من واحد ..

ضحك معتقدا أنها فهمت المفارقة التي يقصدها.. لكنـــها لم تفهم، بل وردت الصاع صاعين

-برضه بتتكلم علي ماما كدا ... يعني كانت تليفونـــات مامتك اللي من صبحية ربنا دي اللي مش ثقالة ولا إيه؟ بـــس الواحد مش بيحب يتكلم .

كشر وجهه وهو يعيد ما تقوله

-ثقالة .. أمي ثقيلةّ... عزيزة..

- نعم...

ولاها ظهره وهو يقول:

-تصبحي علي خير

تركها ودخل غرفة النوم وهي مذهولة من رد فعله المبـــالغ فيه - حسب اعتقادها -لكلمة صغيرة

الليلة الثالثة

دخل مدحت من باب المترل ليجد عزيزة منتظرة علي المقعد أمام الباب. وأول ما رأته بادرته :

- كنت فين لحد الوقت

لم يجبها فصاحت :

-أنا مش بكلمك

رد في ضيق:

- في القهوة

قامت من مكانها، بكت وهي تضرب علي صدرها

-ياهوي ياهوي ... الناس تقول عليك ايه؟ في عريس يروح القهوة تالت يوم جوازه؟ تعالي ياماما شوفي اللي بنتك فيه.

استخدمت أسلوب التهديد حتى يرتجع لكنه وأد محاولتـــها وردها في اتجاه المعاكس

- ياريت

في ذهول تساءلت

-نعم!

- ياريت ماما تيجي تشوف معاكي حل ..جوزك راجـــع وجايب معاه ....

ثم أشرق وجهه بابتسامة عذبة وهو يرفع يديه ليظهـــر مـــا بها..

- تذاكر السفر.. هنروح الغردقة اربعة ايام فول بـــورد في فندق اربع نجوم ....ها ها

لوت جانب فمها وهي تقول:

-اربع نجوم ..... ومايبقاش خمسه ليه مش قد المقـــام؟ ... وبعدين دا مش عذر عشان تتأخر

لوح الزوج بيده الممسكة بالتذاكر

-الغردقة... اربع تيـــام .... لوحـــدنا .... انـــا وانـــت والبحر..... السفر الفجر ... مين هيحضر الشنط ؟ اللي مش هيحضر مش هيسافر..

وضعت يدها في خصرها

-انت بتذلني.. طيب مش مسافرة

جلست الزوجة علي الاريكة رافعة أحد حاجبيها لأعلـــي وتدبدب بقدمها علي الأرض... اقترب منها مدحت و جلس القرفصاء أمامها

- حبيبتي ... قلقتك عليّ .... آسف

ابتسمت في دلال وهي تقول:

- طيب مش كنت تقول كدا من الأول .... بتحبني؟

-طبعا يا حياتي

-لاء قولهالي

-بحبك

- يعني الواحد لازم يشحتها ... يالا قوم نحضر الشنط

أبعدته عنها حتى تقوم، لكنه سحب يدها لأسفل حتى يبقيها جالسة

-لازم عربون

-إيه دا... بص يامدحت أنا عفاريت الدنيا بتنطط قدامي مش ناقصة غلاسة

عاتبها برفق مبتسما وكأنها طفلة صغيرة

-غلاسة .... حبيبتي بقها بيحدف طوب

-انا بوئي بيحدف طوب! ... طوب يامدحت! طيب شوف مين هيروح معاك بكرة ...... لاء شوف مين هيوديك بكرة قال تروح لوحدك قال.. هي سايبة!

رفعت رجليها علي المقعد لتقرفصهم تحتها في عند..

حاورها بلطف عسي أن يعدل مزاجها

-أنا مقلتش حـــ...

قاطعته في حدة

-لاء كنـــت قولهــا وبعـــدين كنـــت هتـــروح مـــع مين؟..........آه البت سامية أكيد

- احنا مش قفلنا اموضوع دا ولاإيه

رفعت أصبعها منذرة إياه..

-اتقفل آه.. اتنسي لاء

جر ناعم مجددا معها..

- طيب ياستي ... أنا من غيرك مقـــدرش أروح في حتـــه مش أنتِ الحته بتاعتي ولا إيه

وكز رأسها برفق وهو يتكلم فأجابتـــه بـــصوت خفـــيض ودلال..

-إيه... قول كمان

- يا حياتي أنا من غيرك وحيد

بسرعة تغيرت طبقة صوتها

- إحنا هنكدب من أولها ... أنت مدحت مين وحيد دا

-أنا من غيرك مدحت بس هبقي وحيد كدا حلو

ابتسمت بجانب فمها

-حلو

- طيب بلّي ريقي بكلمة

أخرجت لسانها وهي تقوم وتقول

- ميه

- إيه؟

ابتعدت عنه مسرعة تضحك حتى يأتي ويلحق بها..

-مش عايز تبل ريقك؟ أشرب ميه

صدم من ردها وأراد صدمها هي الأخرى

-حياتي بجد بجد .... تصبحي علي خير

***

الليلة الرابعة

• دفع مدحت عزيزة لتدخل غرفتهم في الفندق وبعد أن أغلق الباب صاح بها

-اتفضلي ياهانم

-انت كمان بتزعق

أمسك ذراعها من جديد

-ازعق بس.. دا انا هكسر الدنيا

نزعت ذراعها منه، ووقفت وقفة دفاع واضعه يديها علـــي خصرها

- نعم نعم

تخلي مدحت عن صوته العالي وجلس علي المقعد واضـــعا رأسه بين كفيه وهو يقول

-فضحتينا ربنا يسامحك ليه كدا ليه؟

-انا برضه اللي فضحتك ولا عمايلك وعنيك الزايغة ... كنت اسيبها تخطفك مني وانا قاعدة زي كيس الجوافة؟

رفع رأسه لينظر لها في ذهول

- تخطف مين دي عيلة

-عيلة سلامات ياعيلة ...... دي تجيلــها ولا ١٨ ، ١٩ سنه

مازال الذهول علي وجهه، واختلط به حنق شديد

-يا ظالمة دي يا دوب متجبش ١٤.. اتقي الله

صاحت به وهو تشير لأعلي بيدها

-١٤ عفريت.. كل النخلة دي ١٤ سنة ليه؟

- نخلة! البنت اقصر منك بشبرين تلاته يا شيخة

عندما ضعفت حجتها، في ثوان اســتخدمت إســتراتيجية الاستعطاف،خفضت من صوتها ومزجته بقليل من الشجن

-طبعا ما أنت لازم تقول كدا عشان اطلع أنا اللي وحشة

كتم غيظه أكثر، وجز على أسنانه وهو يقول :

-انتِ دا انتِ .... استغفر الله.. خــلاص روحي نامي

مازلت تتبع إستراتيجية الاستعطاف

-اروح انام ليه هو انا فرخة

اصطنعت البكاء وأكملت:

- وللا انت كنت جايبني هنا عشان تنيمني من العشا

- انتِ فاكرة اني عندي وش أقابل بيه اللي في الفندق بعد الفضيحة بتاعتك؟! دا أنتِ ضربتِ السياحة في مصر

في دهشة :

-أنا!

-أيوه يا بريئة أنتِ .... مين من سكان استرليا بعد ما يسمع اللي أنتِ عملتيه في بنتهم ممكن يجي؟

حركت يديها كأنها تهش شيء ما وهي تتحرك في اتجاه الحمام.. تكلمت بإستهانه شديدة:

-هو أنا عملت ايه.. دا دفاع شرعي عن النفس

أوقفها مكانها بشدة ..

-هي البنت مستك حتي بكلمة

نسيت إستراتيجيتها ،رفعت حاجبها، وقالت ببطء كأنها تنذره مما سيأتي إذا أكمل هذا الحوار:

-لما تاخد... جوزي من ايده... وتقوم ترقصه ...يبقي ايه

-يا ظالمة دي كانت بتسأل علي الساعة.. وبعدين حتى لو حصل أنتِ شفتيني تحركت من مكاني؟

ضحكت بسخرية إزاء ما قال

- هاها.. هو انا لسه هستنى

ثم خبطت برفق علي رأسه قبل أن تقول :

- انسى.. ونصيحة لو مش هنخرج يبقي ما تـــتكلمش في الموضوع دا تاني ، أقولك نام أحسن

كانت الصدمة مسيطرة عليه.. وهي تأخذ المنشفة، وتدخل الحمام قبل أن تغلق الباب خلفها ذكرته:

- تصبح علي خير

***

الليلة الخامسة

قفزت عزيزة علي السرير و ربتت بعنـــف علـــي كتـــف مدحت

-مدحت

تألم مدحت وهو مازال نائم

-ااااااااااااااه

كررت مافعلت

-مدحت

أمسك كتفه يدلكه، وهو يحاول جاهدا أن يفتح عينيه

-ايه ... عايزة إيه يا ......حبيبتي

تغاضت عن نسيانه اسمها، فقد كانت تشعر بملل شديد، ولا تريد أن تدخل معه في جدال فيظل نائما، نكاية فيها فقط

- أنت هتفضل نايم كتير؟

- آه

- أنت بتهزر؟.. قوم يلا عشان نخرج

تثاءب وهو يسألها:

- نخرج ... هيا الساعة بقت كام؟

- تيجي ستة ونص كدا

أعاد رأسه علي الوسادة مرة أخرى

- يعني أنا بقالي نص ساعة بس نايم

رفعت رأسه بيدها

- وحنا كنا جايين عشان ننام! ... يالا قوم

- يا حبيبتي أنتِ شفتِ اللي حصل لي النهاردة على المركب.. أنا لسه مش حاسس بدماغي

وضعت يديها في خصرها معترضة

- وأنا ايه ذنبي أن عندك دوار بحر... هو أنا كنت جاية عشان أفضل في الأوضة؟

ربت علي رجلها بحنان:

- معلش ياحبيبتي الليلة بس.. انا مش قادر اتحرك

أبعدت يده، وأجابته في غضب:

- طيب نام

بعد نصف ساعة، لم تعد تتحمل، فجلست بجانبه علي السرير تداعب شعره في حنان مصطنع..

- مدحت

- ها ...نعم

خاطبته بغنج ودلال وهي ترسم دوائر علي معدته

-أنت .... لسه ... عايز ... تنام

-أنا نايم

ضحكت برفق محاولة التأثير عليه

-أمال بتتكلم أزاي ... يالا بقي خلينا نترل

وضع الوسادة علي رأسه دون أن يجيب

- إيه دا متحطش المخدة علي دماغك

-طيب سيبني شوية كمان

قامت من علي السرير غاضبة

-حاضر ... حاضر

بعد نص ساعة أخرى، كان الغضب قد أخذ منها مأخذه، فصاحت بمدحت، جعلته يقفز من مكانه

- مدحت كفاية بقي نوم

- حاضر حاضر البسي أنتِ علي ما أفوق

بتحد وغضب قالت :

-وأنت؟

-أنا بلبس في ثواني خلصي أنتِ بس

بعد ساعة ونصف، كانت في أتم صورة. لم ينقصها سـوى لبس الطرحة، جاءت جانبه وصاحت بصوت عالي فقفز مـرة أخرى

-أنت لسه نايم؟

فرك عينيه بيده ،نظر لها بعين نصف مفتوحة ..

-أنتِ خلصتِ؟

دقت بقدمها اليمني علي الأرض

-آه.. لسه بس الطرحة يالا قوم

أغلق عينيه مرة أخرى

-طيب أنا قايم أهوه البسيها بس أنتِ

صاحت مرة أخري :

-مدحاااااااااااااااااااااااااات

-فيه إيه؟

- قوم

-حاضربعد نص ساعة دخل مدحت الغرفة غاضبا وصفق الباب خلفه

- تفضلي أدخلي

تنهدت في راحة، ثم تكلمت وهي تتمطى..

- ياسلاااااااااااام....... مافيش أحلي من الرجوع للأوضة

أجابها في غضب:

- والله؟

تعجبت من رد فعله.. أليس كل ما كان يريده هو النوم؟! فما سبب هذا الموقف الغاضب؟

- مالك؟

- مالي! عارفة الساعة كام؟

نظرت في ساعة يدها في هدوء قاتل

- تسعة

- يعني انتِ قعدتِ تصحيني عشان تنزلي وبعد نـــص ســـاعة ترجعي

ضحكت بدلال وهي تسحب قميص نومها من علي السرير

-ما انت عارف ياحبيبي النهاردة كان باديء من الـــساعة ٨ الصبح.. يعني اكيد عايزة أنام

صاح غاضبا:

- ما أنا كنت نايم

بهدوء مستفز:

- خلاص بقي نام تاني

- أنام! أنتِ .... أنتـــ......

دخلت السرير، وأغلقت النور قبل أن تقول:

- بقولك ما تبقاش نكدي أنا ابتديت أصدع ... تــصبح على خير

وضحكت فبل أن تكمل:

- يا عمري

***

الليلة السادسة

-إهيء إهيء

قام مدحت علي صوت بكاء عزيزة

-مالك ياحبيبتي؟

أعطته ظهرها وهي مازلت تبكي

-مالي؟.. انت حاسس بحاجة

جلس في مكانه، ومد ذراعه ليلفها في اتجاهه

-معلش أنا وحش .... مالك؟

هزت رأسها موافقة

-آه.. وحش قوي كمان

في صبر نافد..

-ياستي خلاص.. مالك ليه بتعيطي؟

أمسكت الوسادة وضعتها علي بطنها وطويت نفسها عليها

-بطني هتتفرتك مش قادرة

حاول مدحت ألا يضحك وفشل، فصدرت عنه ضـــحكة صغيرة أمسكها بسرعة

-ههه إحم ...معلش أصلي افتكرت حاجة...

ضم فمه ليمنع نفسه من الضحك

-معلش يمكن تقلتي شوية علي العشا

في براءة مصطنعة وإنكار حقيقي

-أنا؟ ابدا!

ضيق عينيه قليلا في عدم تصديق

-متأكدة ياعمري؟ ... يعني اصل الجمبري والبكلويز مش ماشين مع أم علي والمهلبية اللي حليتي بيهم

ضربت علي صدرها مصدومة من كلامه

-أنت بتعد عليا الأكل كمان؟

وبدأت في نحيب وشكوى لحظها

- تعالي ياماما شوفي جوز بنتك وهو بيعد عليها الأكل...

ثم صوبت أصبعها في عينه، وهزت رأسها يمينا ويسارا

-مكنتش أعرف أنك بخيل .... يا بخيل

كانت صدمة مدحت حقيقة.. فهو أبعد ما يكون عن البخل فهل هناك من بخيل يدفع" منيمم تشارج" ١٥٠ جنيه للفرد

-أنا بخيل! ... طيب ربنا يسامحك.. الوقت تعالي نـــروح للدكتور

رفضت بعند زائف عرضه

-لاء بلاش .. أحسن تصرف عشرين جنيه ولا حاجة

كانت الدهشة والتعجب رفيقاه في هذه الليلة

-عشرين جنيه!

لم يتحرك.. غلبه العناد بعد ما قالت، فأرادت أن تؤثر عليه أكثر ...

-آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه يا ماما أنتِ فيـــن ؟

هز رأسه كأنه ينفض عنه ما قالت من كلمات ثم حثها علي القيام

-يا حبيبتي قومي بلاش دلع.. تعـــالي نـــشوف دكتـــور الفندق.. ولو الموضوع محتاج مستشفي اوديكي

هزت رأسها في سخرية..

-اه قول كدا دكتور الفندق...

ثم قالت بصوت خفيض كأنها تحدث نفسها متيقنـــة أنـــه يسمعها

-أنا قلت برضك إيه الكرم اللي نزل عليه دا...

ثم علت بصوتها

- مش كنت تقول من الأول

-ربنا يسامحك.. يالا قومي.. بس خلال عشر دقايق لـــو مكنتيش جاهزة عيطي بقي للصبح

أرادت غيظه بعد أن أحبطها عد إشفاقه..

-أنت كمان بتهددني ...... طيب أنا مش رايحه في حتــه وخليني اموت هنا بس يكون في علمك أنا هكتب ورقة أقــول فيها أنك سمتني

صدم مما قالت

-نعم!

-نعم الله عليك

زحزح نفسه علي السرير ووضع الوسادة علي رأسه قائلا:

-طيب خليكِ بقي شوفي مين هيعبرك ... تصبحي علي.. ولا متصبحيش.. أنا هنام

قامت من مكانها تركض في اتجاه النافذة تريد أن تفتحهـــا وهي تصرخ..

-يالهوي يالهوى .... الحقوني ياناس.. جوزي سمني وبيدعي عليا أموت

لم يتحرك من مكانه لعلمه أنها مناورة فارغـــه لا أكثـــر.. غيرت عزيزة وجهتها من النافذة للباب..

-أنتِ رايحه فين؟

دون أن تنظر له

-رايحه أشوف المصيبة اللي أنت عملتها فيا ...

ضحك وقد أمتعه أن يغيظها ..

-طيب معاكي ربنا

ركضت خارج الغرفة وهي تقول:

-بس أنت بقى لما تيجي النيابة تحقق معاك أكيد ربنا مش هيكون معاك ياظالم

قام الزوج المسكين من السرير، ليلحق بزوجته، في محاولـــة أخيرة لفض الخناق

-طيب ممكن تلبسي عليكِ الروب وأنا هطلب الدكتور

قالت بانتصار :

-كنت قول كدا من الأول ... ناس تخاف

***

دفع مدحت الباب بضيق ملقيا المفتاح علـــي الـــسرير في غضب

- اتفضلي

ألقت عزيزة نفسها علي السرير بجانب المفتاح وهي تبكي

- إهيء إهيء ...... ياعيني عليا وعلي بختي

وقف مدحت أمامها رافعا حاجبه الأيسر متعجبا

- ماله بختك

كأنها لم تسمعه أكملت نحيبها

- أنا عايزة ماما.. هاتلي ماما

لان مدحت قليلا بصوته..

- ياحبيبتي إحنا كلها بكرة وماشيين.. وبعدين ما الدكتور قال إنك علي الصبح هتكوني زي الفل

رفعت رأسها معترضة بشدة أنستها أنها تبكي من الأساس

- زي الفل! .... أنا مش عارفه ايه اللي بيحصلي دا ...

قامت من مكانها، ونظرت لنفسها نظرة مطولة في المـــرآة، قبل أن تكمل:

- أكيد أتحسدت ماأنا كنت زي القمر يـــوم الفـــرح .. شوف وشي النهاردة عامل إزاي

وقف مدحت خلفها يتأملها بدوره

- ماله الحسد بالتلبك المعوي ... الدكتور قال شويه لخبطة في الأكل عملت تلبك بس ياستي يعني لا حسد ولا حاجة دي طفاسة

التفتت تواجهه

- إيه؟

- بقول دي غلاسة ....معدتك بـــتغلس عليـــكِ شوية

عادت تنظر لنفسها في المرآة وهي تعبث بوجهها.. ترفـــع ذقنها.. وتلف وجهها يمينا ويسارا

- لاء.. بقولك حسد.. أنا عمري ما حـــصل لي كـــدا أبدا..شايف عنيه وللا لوني الأصفر ... هو الحـــسد مـــافيش غيره

ثم التفتت مرة أخرى لتواجهه

- تعرف.. أنا عارفة مين

ابتسم وهو ينظر في عينيها نظرة ذات مغزى

- مين؟

- البت بنت خالتك التخينة دي

ذبلت الابتسامة في وجهه وتغيرت كل تعابيره للدهشة

- أسماء! ....حرام عليكِ دي ملاك

ثم ابتعد عنها موليا لها ظهره

- وبعدين هتحسدك علي إيه!

جذبته من ذراعه وجعلته ينظر لها مرة أخرى

- ملااااااااااااااااااااااك مرة واحدة .

رفعت إصبعها في وجهه محذرة

- أنا هعديها المرة دي بس عشان منساش أنا بتكلم في إيه

- إيه؟

- أنها هي اللي حسدتني

دفعته ليجلس علي حافة السرير وجلست أمامه علي الأرض تشرح وجهة نظرها بحماس..

- اسمع بس.. مش هي برضه اتخطبت قبل مننا؟

لم يرد عليها واكتفى بهزة صغيرة من رأسه

- وفكت من شهر ،فقلبها قام غلي ومقدرتش تمنع نفسها من حسدنا

- يا ستي حرام.. ما أنتِ عارفة أنه كـــان مطلـــع عينـــها والحمد لله خلصت منه، وحتى جالها كام عريس بعده يعـــني لا محرومة ولا متغاظة

- مالك مالك؟ إيه الحنية دي كلها؟!.. لتكـــون كنـــت تحبها دي كمان؟

- طبعا

قامت واقفة مرة واحدة واضعة يديها علي خصرها كأنهـــا مارد

- إيـــه

رفع كفيه أمام وجهه ليسكتها، ثم ضم كفه وهـــزه قلـــيلا لأسفل وأعلي

- زي أختي الصغيرة ... زي أختي

- لاء ياحبيبي.. أنت مالكش غير أخت واحدة صـــغيرة.. ماشي؟

قام من مجلسه وأخذ يخلع في ملابسه

- حاضر.. ممكن تغيري هدومك وتنامي؟.. الفجر خلاص هيأذن وأنا عايز أنام

ألانت صوتها قليلا وهي تربت علي كتفه من الخلف

- تنام ومراتك نور عينك تعبانه؟

دون أن ينظر لها

- تعبانه بس مالك تاني؟

دفعته بلطف وقالت بدلال

- ليه هو غسيل المعدة دا سهل

ثم غيرت من نبرة صوتها وأخذت تشير بيدها

-أنا كل ما افتكر لما قعـــ..............

أمسك يدها بسرعة ليمنعها من التكملة

- أبوس إيدك بلاش توصفي تاني.. أحسن أنا اللي هيرجع الوقت

جلست علي حافة السرير ممتعضة

- أنت مش طايقلي كلمة ليه النهاردة

- عشان عايز أنام

ألقت عليه الوسادة

- عايز أنام ... عايز أنام ... خلاص نام

-آي ...طب ليه بترمي المخدة!

في حدة قالت

- كانت مضيقاني.. عندك مانع؟

عدل من وضع بيجامته ودخل السرير

- لاء

بعد مرور القليل من الوقت كان مدحت يخــوض في نــوم عميق، أما عزيزة فكانت تستند علي الوسادة غارقة في أحــلام اليقظة وهي تتذكر يوم عرسها

- مدحت

- أأأأأأأأأأأأأأأأأ

- مدحاات

رفع رأسه عن الوسادة

- نعم نعم

قالت في صوت حالم

- أنا كنت حلوة يوم الفرح صح؟

- آه تصبحي علي خير

وسحب وسادة أخرى وضعها فوق وجهه.

- طيب ليه النهاردة ماقولتليش

لم يجبها

- مدحاااااات

فتح عينيه قليلا

- إيه ...؟

- ليه ماقلتليش النهاردة

- آه أنا وحش معلش.. كنتِ قمر يوم الفرح

وأغمض عينيه

- إزاي؟

دون أن يفتح عينيه أجابها

- نعم؟

- كنت قمر إزاي؟

- زي الناس

ضربت الوسادة برقة

- لاء بجد

فتح عينيه وصرخ بها

- ياستي حرام عليكـــي عـــايز أنـــام ارحمـــيني عـــايز أنااااااااااااااااااااااااااااام

رفعت يديها في استسلام مزيف

- خلاص خلاص تصبح علي خير

عدل من وضع الوسادة

- وأنتِ من أهله

مالت عليه، وداعبت شعيرات صدره القليلة بيدها

- يعني كنت أكتر حد قمر أنت شفته صح؟

دفعها بعيدا عنه ، قام من السرير وارتدي الـــروب فـــوق البيجامة ثم سحب وسادة

- تعرفي.. أنا نازل أنام في اللوبي تحت .....سلام

***

الليلة الأخيرة

دخلت عزيزة الشقة وخلفها مدحت حاملا الشنط. دفـــع الباب بقدمه ليغلقه ثم أنزل الشنط وهو بالكاد يلتقط أنفاســـه. ألقت عزيزة نفسها علي المقعد متبرمة

– أنا عارفه ايه اللي رجعنا النهاردة بس

من خلال أنفاسه المتقطعة أجاب

– مش انتـــ...انتي اللي طلبتي ترجعـــي عـــشـــــ...ان تعبانه؟

– وانت قلت بركه يا جامع

جلس علي المقعد المقابل لها

– ازاي بس؟ انتي اللي عيطتي وطلبتي مامتك في التليفـــون تشكيلها انك عايزة ترجعي وانا مانعك وكـــ...............

قامت لتقف أمامه ملوحة بيدها

– أيوه ايوة طلع كله.. دا انت طلعت معبي مني قوي

وقف بدوره ممسكا ذقنها

– لا ابدا ياعمري انا بس حبيت أوضح لك النقط بس

ثم تركها وعاد ليجلس

- وبعدين يعني أنا حابب ان فلوس الليلـــة دي تـــروح علينا؟ أكيد لاء

تكلمت في استنكار :

-- فلوس .. فلوس .. فلوس انـــت مـــابتفكرش غـــير في الفلوس؟ ايه؟

كانت الدهشة علي وجهه تصرخ وتقول أنا هنا

- أنا ....!!!

أرد أن ينهي الحوار قبل أن تتفاقم الأمور كالعادة

- حياتي انتِ مش تعبانه من السفر؟ يالا عشان ترتاحي في اوضتك

أمسكت ظهرها متصنعة التعب

- اه صح تعبانه من المكروباس التعبان اللي رجعتنا فيه

- مكروباس ايه دا اتوبيس خمس نجوم

قالت بسخرية:

- خمس نجوم مرة واحدة!.. وكانوا فين النجوم دي؟

قام من مكانه متجها لغرفة النوم وهو يتكلم

-ما كانوش.. المهم اننا لاقينا مكان نرجع اصلا.. دا لولا أسماء بنت خالتي كنا زمنا رجعنا بسبعة راكب

أسرعت لتمسك بكم قميصه تمنعه من دخول الغرفة

-استني استني لولا مين؟.... أسماء بنت خالتك! مالها ست اسماء كمان؟

كانت معالم الغضب بادية علي وجهها مما جعل مـــدحت يحاول غلق الموضوع بدل من الدخول في مناقشة حامية أخرى ولكن كان السيف قد سبق العزل

-مافيش

بإصرار :

-لاء فيه

تكلم مدحت بصوت رقيق خافض ليؤثر عليها

-أصل أنا حاولت الاقي مواصله تترلنا مـــالقتش قمـــت كلمتها عشان تدبر لنا حاجة. أنتِ عارفة أمها بتـــشتغل في شركة سياحة يعني ليها ناس في كل بلد سياحي.. بس

طبع قبلة علي خدها ليكمل السحر، مسحت عزيزة القبلة بيدها وصاحت:

-قمت قلت وماله؟ مادام كيس الجوافة اللي في الفنـــدق نايمة علي ودانها ولا داريه بحاجة اعمل اللي انا عاوزه

بدى الاستنكار علي وجه مدحت من ذلك الأسلوب

-كيس جوافة ايه ما انا قلتلك اهوه

استخدمت عزيزة يديها لتأكد ما تقول

-بعد ايه؟ بعد ما قعدت انت وهي تتمسخروا عليا؟

بدأ صبر مدحت في النفاد، فتكلم بنغمة محذرة:

-ايه اللي انتي بتقوليه دا؟

عزيزة لم تفهم، بل تمادت أكثر وأكثر

-قصدك ايه اللي عملته دا

حذرها مدحت

-عزيزة ماتزوديهاش

لم يكن هناك حدود لصفاقة عزيزة، فظلت تصرخ بـــأعلي صوتها، وتشير بيدها

-لاء.. دا انا هزودها وازودها وازودها ووريني انت هتعمل ايه يابيه

تملك الغضب من مدحت

-عزيزة

لم تأخذ في اعتبارها شرارات الغضب التي تتطاير من عـــين مدحت

-عزيزة عزيزة كنت عارفه انك كل اللي بتقدر عليه الكلام

رسم ابتسامة صفراء علي وجهه

-حياتي قربي كدا

تخليت عزيزة أنه قد خضع لصوتها العالي فتكلمـــت بثقـــة زائدة

-ماتقرب انت...حكم .... اللي عايز حاجة ما يعملها هو

اقترب مدحت منها، وأمسك وجهها بيده

-عندك حق ...بصي لي كدا ...عايز ابص في عينك

ثم رفع يده لأعلي وأنزلها بأقصي قوته لتهوي علي وجهها ، بدت الدهشة علي وجه عزيزة وغطت خدها بيدها في ذهول

-أنت.. أنت عملت ايه؟

بدأت تدرك ماحدث

- أنت اتجننت؟ بتضربي بالقلم يابن الـــ....؟

قاطعها بسرعة ألجمت لسانها

-عزيزة .... أنا بحذرك صبري عليكِ خلاص نفد.. أنــتِ مش زودتيها.. دا أنتِ نيلتيها خالص

تكلمت بصوت مرتعش

-وكان إيه اللي جابرك؟

- ايه اللي جابرني؟... هقولك ... الفرح والشبكة والشقة

لم تتمالك عزيزة نفسها وجلست علي الأرض محلها وهــي مشدوهة

- نعم؟

- أيوه .... صبرت عليكِ.. كنت فاكر أنه دلع عرايس.. بس لقيته طلع طبع وقلة رباية

أنتي كدا نكدية.. تعشقي النكد ز يعنيــك.. وبــس..لأني دفعت دم قلبي في الجوازة دي بقيت عليكِ.. لَكن تــصدقي.. تغور فلوس الدنيا كلها ... عزيزة أنتِ...

صرخت عزيزة وهبت واقفة لتمنعه من الكلام

- لااااااااااااااااااااااااااااااااااء

- طالق

***

الفصل الثاني

يا طلقة ما تمت

(١)

-يا سلام ياماما ... لاء طبعا هو اللي لازم ييجي الأول

جلست أم عزيزة بجانبها وأخذتها في حضنها تدللها

- ما هو هيجي ياعبيطة ويزحف كمان لكن الخطوة الأولي لازم مننا

هزت عزيزة كتفها في عند طفولي

-ليه يعني؟

خبطت أم عزيزة علي رأسها بإصبعها

- عشان ياذكية هيعرف منين انك حامل

تنبهت عزيزة..

-آه

اعتدلت أم عزيزة في جلستها مؤكدة كلامها بإشارة من يديها

- هتشوفي أول ما تكلميه هيجي لحد عندك زاحف

قامت عزيزة من مكانها ووقفت أمام النافذة وهي تتكلم

- بس أنا مش طايقة أكلمه.. دا ضربني وطلقني في شهر العسل.. أنا فضحيتي كانت علي كل لسان

تبعتها أمها مهونة عليها الأمر

- بكرة تخدي حقك تالت ومتلت.. اسمعي كلام امك بس

***

-آلو

أجابت عزيزة بحدة وبسرعة

-من غير آلو.. أنا عندي كلمتين بس

بنفاذ صبر تكلم مدحت بعد أن زفر زفرة قوية

-خير

بتأني أجابت..

-أنا حامل .... سلام

***

دق جرس الباب ، تلكأت أم عزيزة قليلا قبل أن تفتح الباب تاركة من خلفه ينظر، ثم فتحت وهي رافعة حاجبها متجهمة.

- سلامه عليكم .... إحم احم ... ازيك ياحماتي

مصمصت بشفتيها قبل أن تتكلم

-حماتك!.. ماكنش يتعز ...اتفضل

تقدمته لغرفة الصالون وما أن جلس حتى بادرها بالكلام

-عزيزة قالت لي...............

تصنعت الدهشة، وضربت علي صدرها

-هي كلمتك؟ طيب أنا هوريها...

تنهدت بعمق قبل أن تكمل

- بس هعمل إيه في قلبها الطيب وحنيتها ، أنا عارفه طالعة خايبة لمين

لم تدخل تلك المسرحية علي مدحت فتكلم باقتضاب..

-ممكن أشوفها؟

ضحكت بسخرية..

- تشوفها بمناسبة إيه؟ ما خلاص فركش .. أنتم مش أتطلقتم؟

- بس ياطنط ما هي لو حامل أنا مايرضنيش أبدا أن حد غيري يربي أبني أو بنتي

هزت رأسها موافقة..

-دا كلام جميل بس احنا لينا شروط الأول

رفض أن يستمع لمزيد من الكلام

-قبل الشروط أحب أشوفها وأوديها للـــدكتور عـــشان أتطمن

ضربت علي صدرها بحدة..

-تتـــ إيه .... أنت بتكدبنا؟

أسرع مدحت ينفي

-لا سمح الله يا طنط بس عشان أتطمن عليها هي الأول

جاوبت بنفس منطقه ورفعت أصابعها تعد له

-لاء أتطمن ، الشروط وبعدين الدكتور والمأذون

-خير؟

رفعت أول اصبع

-الشقه تتكتب بإسمها

ذهل مدحت..

-أيه ؟

-وكمان.. حتى لو مش كتبت عليها بعقد جديد علـــشان لسه في العدة برضه تدفع مهر جديد وشبكة جديدة.. عـــشان

تبقي تعرف بعد كده تعد عليها المهر والشقة والحفلة تاني...آه ... إحنا مش هنرمي بنتنا

اعترض مدحت بوهن..

-بس ياطنط..

قامت من مجلسها منهية الحديث

-لا بس ولا حاجة.. فكر مع نفسك وقرر ...والوقـــت بقي سكتك خضرا

-نعم؟

-نعم الله عليك.. ايه؟ انت عايز الجيران تاكل وشنا؟ انت الوقت راجل غريب إحنا ستات لوحدنا يالا بالسلامة

قام من مكانه وحاول أن يحثها علي الكلام

-بس ياطنط .. طيب انتم رحتم لأي دكتور؟

تكلمت وكأنها لم تسمعه

-فكر يابني وبعدين الكلام دا

***

(٢)

فتح مدحت الباب لعزيزة حتى تتقدمه

-نورتي بيتك.. اتفضلي

دخلت بهدوء غير عابئة بالشنط التي يحملها

-طبعا نورت بيتي

وضع الشنط علي الأرض، ورحب بحماته

-إحم ... اتفضلي ياحماتي

هزت كتفها كما فعلت ابنتها

-متشكرة

تحرج مدحت من الموقف و لم يدرِ ماذا يفعل

-طيب هانزل أنا بقي أجيب باقي الشنط

لم تجب عزيزة أو أمها..

-مش هتأخر

أجابت الأم بضيق

-براحتك

طرق الباب خلفه فالتفتت الأم لابنتها

-خفي شوية

قالت بدلال

-يا ماما بقي

اقتربت الأم من ابنتها مخفضة من صوتها

- يابت خليكي ناصحة.. حبة الراجل عمل كـل اللـي طلبناه منه.. خلاص بقي لا يطـير منـك والمـرة دي مـش هيرجع.. افهمي

تمردت عزيزة

- عمل ايه .... عمله اسود ومنيل ... أنتي ناسيه أنه سابنا شهر بحاله لحد ما أحنا اللي اتصلنا بيه وبعدين قعد يتشرط

هزت الأم رأسها بلوم

- يتشرط برضه! ماهو كتبلك نص الشقة وجبلك شـبكة تانية وإن كان علي المهر ما احنا برضه نقينا شبكة تقيلة

تدللت أكثر

- آه كتب نص الشقة بس دا كان حقه يكتبها كلها

- هو في حد في الزمان دا بيعمل كدا... اسكتي اسـكتي لحسن رجع

تذمرت عزيزة وضعت يدها علي فمها

- سكت

دفع مدحت الباب بقدمه، ووضع الشنط أرضا، ثم ألقـــى بنفسه علي أول مقعد قابله

-الشـــ.....الشـــنط

صاحت عزيزة

-إيه دا أنت بترزعهم كدا ليه

تنحنح مدحت قبل أن يجيب

-أنا ..معلش أصلهم تقال قوي

تكلمت أم عزيزة بفخر

-طبعا لازم يبقوا تقال.. هو أنا بنتي قليلـــه لازم تـــدخل بقيمتها ... يالا استأذن أنا بقي

قام مدحت من مكانه مودعا

-ما بدري يا حماتي

نظرت له حماته نظرة ذات مغزي قبل أن تجيب

-لاء متشكرة.. أحسن أطول عليكم وأبقي فيلم رعب ... ها

تدخلت عزيزة مانعة أمها من التحرك

-إيه اللي بتقوليه دا يا ماما دا بيتك

-إحم إحم

نظرت أم عزيزة بضيق لمدحت

-لا معلش أنا كدا مرتاحة.. بدل ما جوزك يتنحنح طـــول الليل

همست عزيزة في أذن أمها

-مش قلتيلي اخف أمال مالك؟

ابتسمت الأم بخبث وقالت هامسة

-أنا حماته يا عبيطة يعني أنا كدا خافة أصلا

تكلمت عزيزة بصوت عالي

-سلام يا حبيبتي نورتي الحبة الصغيرين دول

ابتسم مدحت مودعا لحماته

- تحبي اوصلك ياحماتي

تهكمت خارجة من باب الشقة

-لاء شكرا خيرك سابق

التفت مدحت لعزيزة وأقبل عليها قليلا

-حمدالله علي السلامة نورتي بيتك و نورتيني

أجابت بثقل مصتنع

-الله يسلمك

أخذها من يدها وأدخلها غرفة النوم

-شفتي أنا جبتلك إيه

سحبت يدها متمنعة عن الدخول

-لاء

أمسك بيدها مرة أخرى

-طيب أدخلي اوضه النوم تلاقيها

طاوعته عزيزة ودخلت الغرفة معــه ثم ومــع أول نظــرة صرخت

-يالاااااااااااااااااااااااهوي إيه دا

تفاجأ مدحت من رد فعلها

-إيه يا حبيبتي

أشارت إلي جانب السرير

-إيه دا

اقترب من سرير الأطفال الصغير الموضوع جانب سريرهم وأمسك حافته

-دا سرير البيبي الجديد ... ها إيه رأيك عجبك

جلست عزيزة علي السرير الكبير باكية

-عجبني! ... هي بقت كدا خلاص؟

تعجب مدحت واقترب منها مواسيا

-إهدي شوية و قوليلي بقت إزاي

من خلال دموعها

-أنت نزلت واشتريت سرير ابني من غيري

مال مدحت عليها قليلا مربتا علي كتفها في حنان

-أنا قلت مراتي حبيبتي حامل وتعبانه أريحها.. دا حتى أنـــا جبته من المحل اللي أنتِ قولتيلي عايزة تشتري منه وحتى كمان نفس الماركة... بصي

لم تنظر عزيزة بل ولت مدحت ظهرها

-قلت عايزة أجيب مش عايزة يتفرض عليا ... الـــسرير دا يرجع

خضع مدحت لرغبات عزيزة

-حاضر

أصرت عليه

-الوقت

أعترض مدحت

-نعم؟

صاحت عزيزة ممسكة ببطنها

-بقول الوقـــ..............آه

تملك مدحت القلق

-مالك يا حبيبتي

أجابت بصوت واهن

- مغص مغص جامـــد أوي ....آآآآآآآآآآآآآآآه

أصل الدكتور قلي أن الانفعال وحش عليا وخطر علي البيبي

أمسكها مدحت من ذراعها يساعدها علي الوقوف ، رفع حافة غطاء السرير وأجلسها

- طيب خلاص أرتاحي أنتِ وأنا هترل أرجع السرير بس أرتاحي

قامت من مكانها

-لاء رجلي علي رجلك

اعترض مدحت وأشار إلي بطنها

-ازاي أنتـــ..........

أمسكت بطنها بشدة متصنعة الألم

-آاااااااااااه متعاندنيش أنا مش حمل مناهده آاااااااه

استسلم مدحت مجبرا

-حاضر

***

(٣)

-أنا عارف فين البواب الزفت دا كل ما احتاجه يكـــون مش موجود

تكلم مدحت من خلال أسنانه وهو حامل الـــسرير علـــي السلم وعزيزة تسبقه بخطوات قليلة

-وأنت عايز إيه منه؟

-يشيل معايا السرير... دا قطم ضهري

وقفت علي الدرج مانعة إياه من الصعود

-سرير ابني محدش يشيله غيرك

وقف بدوره

-إيه؟

أشارت بإصبعها في وجهه

-أنت عارف البواب دا كان ماسك إيه بإيـــده ولا كـــان بيعمل إيه قبل ما يشيل السرير؟

جلس مدحت علي الدرج متمنعا

-السرير تقيل جدا وأنا خلاص تعبت

أكملت صعودها الدرج وهي تتكلم آمرة

-وماله.. أنت بتتعب لولد غريب! يالا يالا يلاش دلع

قام مدحت مجبرا يتمتم بكلمات استغفار حتى لا يلقي السرير من علي الدرج يكسره

- استغفر الله

التفتت إليه

-في حاجة؟

رسم ابتسامة صفراء علي وجهه

-لاء يا حياتي ..... ممكن تسبقي وتفتحي الباب

هزت كتفها بدلال ليس بوقته أو محله

-الدكتور قالي اطلع السلم بالراحة مش كفايه أنك مشتركتش في الانسانسير وخليني أطلع السلم وأنا حامل

-إحنا في التاني يا حبيبتي يعني دا مش سلم

ضربت بقدمها الدرج غاضبة

-مادام مش سلم يبقي شيل السرير وأنت ساكت

-حاضر

وقفت عزيزة بهدوء تفتح الباب ومدحت خلفها يشعر بكل عضلات ظهره وساقه تئن من الألم ، دخلت الشقة بخطوات

متأنية وهو خلفها يرمقها بنظرات كادت أن تكــون نارية تحرقها، وصلا أخيرا لغرفة النوم ومدحت يجز علي أســنانه ثم وضع السرير في مكانه السابق وجلس علي الفراش الكبير

-أنت حطيت السرير هنا ليه؟ ... حطه الناحية التانية

اعترض مدحت بوهن من أثر السلم وحمل السرير

-بس دي ناحيتي

-كانت

قام مدحت محني الظهر لينقل السرير

-حاضر

تأملت السرير في مكانه الجديد وهي في قمة السعادة

-يا سلام أهو دا السرير الصح ... شكله يجنن مش كدا؟

حاول مدحت منع غيظه من الظهور

-أكيد يجنن.. بس تعرفي.. كان برضه يجنن من الأول

أكدت علي كلامه

-عارفة

جز علي أسنانه وهو يقول:

-طيب كان إيه لزمته بس أشيل السرير وأنزل بيه؟ !

-أنت ما كنتش عايزني انقي سرير ابني؟

-لاء يا ستي.. بس مادام كان أصلا عجبك كنا نزلنا أتفرجنا ولو لقينا حاجة أحسن كنا غيرناه

رفعت حاجبها وهي تقول مشمئزة :

-وأنا كنت أعرف منين أنك جايب السرير من محل معفن ودا أحسن حاجة فيه

-صح عندك حق ... أنا رحت محل معفن في مول معفن عشان أشتري سرير بتمن أوضه كاملة

ألقي مدحت تلك الكلمات في وجهها والتفت خارجا من الغرفة،فصاحت وراءه:

-أنت رايح فين؟

بدون أن يلتفت لها:

-الحمام

ابتسمت ابتسامة المنتصر وهي تراه خارج من باب الغرفة، يجرجر في قدميه

-طيب هاتلي معاك وانت جاي إزازة ميه

(٤)

دخل مدحت من باب الشقة، ليجد عزيزة مجهشة بالبكاء. اختلع قلبه من منظرها

-السلام عليكم

ردت من خلال الدموع:

-إهيء ... إهيء وعليكم ... إهيء السلام

اقترب منها ممسكا يديها :

-مالك ياعزيزة في حاجة حصلت وحشة لا سمح الله؟

-لاء

يسأل مستغربا:

-أمال مالك بتعيطي ليه؟

-ولا حاجة

مسح دموعها بيده ..

-ولا حاجة إزاي.. خير يا حبيبتي مالك؟

مسحت أنفها في كم ثوبها..

-مافيش أصلي كنت بقشر بصل وعنيه وجعتني

-أيوه وبعدين؟

-لقتني عايزة أعيط ... عيطت

قام من مكانه، وجلس جانبها علي الكنبة ..

-من منطلق الدموع موجودة أصلا فمافيش حاجة بتخسر مش كدا؟

ضحك بشدة، فاتخذت عزيزة وضعية الدفاع ..

-أنت بتتريق؟

ضم فمه حتى يمنع نفسه من الضحك..

- لا أبدا

بكت عزيزة أكثر ..

-أصلك مش حاسس باللي بيا

تكلم بمرح هازا رأسه مؤكدا..

-ما أنتي قلتِ لي البصل.. و أنا مجربه حقيقي

-بطل هزار

اصطنع الجدية..

-إيه اللي فيكِ يا ستيّ؟

وقفت تبحث عن شيء وهي تتكلم ..

-حاسه أني عايزة أعيط ... أصرخ ... أكسر

قام هو الأخر يبعد عنها التحف الموجودة علي الطاولة

-يا ساتر يارب .. ليه بس هو في حد زعلك؟

-لاء.. بس دي طاقة جوايا ... أوديها فين؟

خبط رأسه بيده مفكرا، ثم ابتسم وهو يقول :

-آاااه.. توديها فين .. طيب إيه رأيك تتعلمي مصارعه أو كاراتيه؟ ممكن ملاكمة كمان.

دفعته في صدره..

-برضه بتتريق.

أحاطها بذراعه

-يعني أقولك إيه

-أقولك أنا ... في لعبة اسمها .... مش فاكرة اسمها بس دي بتحاكي الواقع يعني بتلبس حاجة في دراعك وتلعب تنس مثلا فعشان تضرب الكورة لازم تحرك دراعك جامد وفيها العاب كتير مصارعة وملاكمة وسباق عربيات.

ارتكن بكتفه إلى الخلف، وقد فهم الحكاية ..

-كويس.. وبكام اللعبة دي؟

كانت مازالت مستندة إلي صدره، فتدللت أكثر..

-مش عارفة.. بس يعني هي تغلا عليا؟

-لاء تغلا عليا أنا

دفعته بعنف غاضبة ..

-آه علي نظام مش خسارة فيكِ بس خسارة ليا ... ماشي براحتك

تركته ودخلت غرفة النوم فتبعها محاولا تلطيف الجو، وتغيير الموضوع..

-ها يا جميل عامل أكل إيه النهاردة

جلست أمام المرآة، تضع بعض المرطب علي يدها وتنظـــر إليه من خلالها وهو يغير ملابسه.

-ولا حاجة

يلتفت إليها وهو يمسك فردة حذائه التي خلعها في التو..

-أمال البصل كان ليه؟

- أهو بقي فضا .. تقدر تقلي لنفسك بيضتين

أزاحت غطاء السرير، وجلست.

-عزيزة دا مش وقت هزار.. أنا جاي جعـــان وتعبـــان نفسي آكل وأنام.

انزلقت بين الأغطية، ووضعت رأسها علي الوسادة وهـــي تتكلم:

-أصل الشغاله اللي جابتها الست الوالدة أخدت أجـــازة النهاردة وماجاتش معلش مافيش أكل أتصرف

تساءل مدحت مندهشا، وهو يتمنى لو يـــستطيع قـــذفها بالحذاء في يده:

-أنتِ بتعملي إيه؟

قالت بصوت ناعس :

-أصل الدكتور قال لي أبعد عن حرق الـــدم. وكمـــان الوحم جايلي بنوم فهنام

(٥)

جلس مدحت أمام التلفاز يشاهد برنامجه المفضل، فألقـــت عزيزة نفسها بجانبه علي الأريكة.

-مدحت

-نعم

-إحنا عندنا بلكونة ليه؟

نظر إليها في عدم فهم..

-إيه!

-أصل لو علي الغسيل الشباك برضه يسد

عاد لينظر للتلفاز مرة أخرى.

-آه

أمسكت رأسه بيدها تلفته إليها.

-هو إيه اللي آه؟

تنهد ..

-أنا مش عارف أخرة الكلام دا إيه؟

-أخرته أنك عمرك ما قلتلي تعالي وقت المغربية نقعد شوية في البلكونة ونشرب كوبايتين شاي

عاد ينظر للتلفاز ..

-أنا ما بحبش الشاي وللا نسيتي؟

وكزته بكوعها في ذراعه..

-أنت فاهم قصدي

أطفأ التلفاز من جهاز التحكم وأمسكها من رسغها يوقفها

-فاهم يا ستي.. وعندك حق.. تعالي نقعد شوية في البلاكونة

تمنعت..

-يا سلام.. كدا؟

-أمال إزاي؟

لم تجب، ونظرت له في عتاب .

-طيب هقولك.. خشي ألبسي الإسدال عليكِ علي ما أنا أعمل أحلي كوبايتين عصير واسبقك علي البلكونه...

***

اتكأت عزيزة مستندة إلي سور الشرفة، وتنهدت في سعادة ..

-شفت القعدة حلو إزاي يا ميدو؟

ابتسم مدحت ..

-ميدو! ... ماشي ياستي ميدو ميدو ... عندك حق القعدة تجنن والجو حلو قوي

نظرت له ليكمل..

-بس ؟

-لاء بس الأحلى وجودك يا عزة

صرخت فيه ..

-عزة! ... مين بقي الست عزه دي يا بيه؟

ضحك في سره علي سرعة تقلب حالتها المزاجية

-عزة اختصار عزيزة

أشارت بإصبعها ..

-لاء.. أنت طول عمرك بتقولي زيزة او زيزي.. لكن عزه دي لاء

-عادي يا عمري.. أنا قلت أغير اسم الدلع بتاعك زي ما أنتِ غيرتِ اسمي.. بس

-تقوم تغير اسمي لاسم واحدة تانية؟

مازال مدحت متحكم في أعصابه بقبضة فولاذية ..

-أبدا يا عمري

وقفت وهي تصيح ..

-عمرك مين ربنا ياخـــ......(تداركت الكلمة قبل أن تكتمل).. أنت خلاص ماعتش عندك إحساس ... راعيني شوية يا شيخ.. عمال تحب في الست عزة وانا قاعدة

ثم أخذت تتفحص في الشرفات المطلة عليهم ..

- مش بيعيد تكون الست هانم قاعدة في بلكونة قريبة وعماله تسمعك وانت بتتغزل فيها وتضحك علي كيس الجوافة اللي قاعدة جنبك ....

قام مدحت ليحتضنها من ظهرها حتى تهدأ، فدفعته بعيدا عنها..

-حاسب كدا

-انتِ راحا فين بس؟

-داخله .... تكونش عايزني اعملكم كوبيتين لمون؟

حايلها مدللا:

-يا حبيبتي هو اللي يحبك ممكن يحب حد معاكِ وللا بعدك حتى؟

-كل بعقلي حلاوة

أكمل بنفس النغمة:

-لاء هاكل بعقلك عزيزة اللذيذة

ضحكت بدلال:

-بتضحك عليا بكلامك دا .... قول كمان

أشار حوله..

-هنا؟

انقلبت عزيزة مئة وثمانين درجة..

-شفت ازاي أنت خايف لا الهانم تسمعك؟ طيب خليك عندك بقي

دخلت عزيزة من الشرفة، وأغلقت خلفها الباب الزجاجي!

-انتِ بتعملي ايه؟

قالت بتشفي:

-قفلت عليك البلكونه عشان تبقي براحتك وخليك كدا للصبح

طرق مدحت بقوة علي الزجاج وهو يراها تدخل غرفة النوم وتغلق خلفها..

-عزيزة دا مش هزار افتحي الجو برد................

عزيزة ... عزيـــــــزة

(٦)

-كح ... كح ... كح

تأففت عزيزة..

- يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم

نظر مدحت لها في غيظ..

-في حاجة ياعزيزة؟ .. كح ..كح

-أكيد في .. أنت ناسي أني حامل وأنت كدا ممكن تعديني؟

تكلم من بين أسنانه ..

-يعني أعمل إيه؟ ... أقولك أرجع كدا لامبارح وألحقك قبل ما تقفلي عليا البلكونة ..كح كح .. ولا أقولك كح كح أقول للسما ماتمطرش عليا ... لأ لأ الأحسن أقول للهدوم اللي فضلت مبدولة عليا للصبح أنشفي فتنشف

اعترضت عزيزة :

-للصبح يا مفتري!.. تقصد الفجر

هز رأسه مؤكدا كلامها..

-صح عندك حق.. أنا غلطان.. للفجر

نهرته مبررة تصرفها :

-بتتريق حضرتك؟ .. ماهو كله من عمايلك الفل

-صح

ضحكت ..

-وبعدين أنا كنت بهزر معاك

-كح كح بتهزري! .. عزيزة.. عايز منك حاجة

-خير

رفع سبابته أمام وجهه ليؤكد على كلامه ..

-ماتهزريش تاني معايا.. أقولك.. خاصميني أحسن

صاحت غاضبة :

- أحسن

أمسك رأسه بكلتي يديه..

- ماتتكلميش.. صوتك بيرن في الشقة وأنا عندي صداع

خبطت بيدها علي صدرها مصدومة..

-أنا صوتي عاملك صداع! ... أنا! .. إهيء إهيء

-تعرفي.. أنا هترل أحسن ....آآآآآآآآآآآآآه

سقط مدحت أرضا في محاولته لتفادي عزيزة. قالت شامتة:

-شفت! من أعمالك سلط عليك

نهرها مدحت في لوم:

-دا بدل ماتديني إيدك أتسند عليها بتشمتي فيا .. كح كح

قالت بسخرية لاذعة :

-لأ أصل ايدي وصوتي بيشتغلوا مع بعض فهيعملولك صداع

هز رأسه أسفا..

-حسبي الله ونعم والوكيل

ضربت عزيزة صدرها..

-أنت بتحسبن عليا .... يالهوي يالهوي

حاول مدحت إسكاتها مشيرا بيده..

-بس الجيران يسمعونا

لم تهتم بما يقول..

-بيجوا يشوفوا البيه اللي بيحسبن علي مراته الحامل..
وكل ده ليه عشان سمعت كلامه

لم يصدق مدحت أذنيه.. هل عزيزة تقول أنها تسمع كلامه؟! هذا حلم بعيد المنال

-أنتِ بتسمعي الكلام أنتِ!

-كمان بتفتري عليا ... المفتري عليه ربنا

-آمين

استشاطت عزيزة غيظا ..

-يعني مش همك؟ .. طيب أقول إيه واللي متجوزاه..................

حذرها مدحت حسما ..

-عزيزة من غير غلط ..كح...كح..كح

لانت قليلا، ومدت يدها تساعده علي الوقوف

-خلاص هات إيدك وودي وشك الناحية التانية مش طالبة عدوي

تألمت عضلاته كثيرا وهو يحاول الوقوف

-آه ...آه كان بدري عليك يا واد يا مدحت

عدلت عزيزة مقولته..

-لاء و أنت صادق كان بدري عليكِ المقلب يا عزيزة

ألقي مدحت نفسه علي الأرض مرة أخرى، وقال متعجبا:

-مقلب !

-أنت قعدت في الأرض تاني ليه؟

-لما أشوف حكاية المقلب دي

حذرته عزيزة وهي تعني ما تقوله..

-بقولك ايه.. قوم.. أحسن ما أسيبك كدا وأمشي

-آآآآآآآآآآآآه بالراحة ياعزيزة

اتجه لغرفة النوم وهو يقول:

- بقولك هاتيلي الغطا التقيل

أوقفته..

-أي غطا؟ ... أنت أصلا رايح فين؟

أكمل طريقه وهو ما يزال يتكلم:

-أنام في السرير

كانا قد دخلا غرفة النوم، فأشارت عزيزة إلي السرير

- وأنا أنام فين؟... أنت تروح الأوضة التانية تنام فيها وأنا هنام هنا

-إيه ... ليه؟

تعجبت من سؤاله..

-عشان العدوي

-طيب روحي أنتِ الأوضه التانيه

أخذت تمط في الكلام، وهي تمسح علي بطنها

-يعني مراتك حبيبتك الحامل.. وأخد بالك معايا.. تروح تنام علي كنبة برضه

-دي بتتفرد سرير

أمسكت في الكلمة، ودفعته في اتجاه باب الغرفة

-أديك قولتها.. يالا روح وأنا هجيبلك اللحاف واحصلك

خرج مدحت من الغرفة مكدرا..

- حسبي الله ونعم والوكيل

- بتقول حاجة يا مدحت؟

- لاء يا عمري بقول تسلم إيدك

(٧)

وكزت عزيزة مدحت في ذراعه لتوقظه من النوم

-مدحت .... مدحاااااااااات

-إيه..إيه

لم يستجب مدحت للوكزة الأولي فأعادت وكزه بقوة

-اصحى بقى ... قوم بكلمك

-آه... هي الساعة كام

اعتدلت عزيزة في جلستها

- مش مهم المهم تصحي

استجاب مدحت وبدأ برفع نفسه قليلا ليسند ظهره علي الوسادة

-فيه إيه ياستي دي الساعة..........

أخذ الساعة من الطاولة المجاورة للسرير لينظر فيها وصرخ

- الساعة تلاتة الفجر حرام عليكي انتِ ناسية اني عندي شغل الصبح ... نامي يا عزيزة ربنا يهد.... يكي

ربت علي ذراعها وأنزلق جسده لينام فوكزته عزيزة بقوة ..

-قوم بقولك الموضوع مهم

أمسك ذراعه يدلكه وقد آلمته وكزتها..

-خير

أخذت نفس عميق وقالت بصوت حالم

-أنا شامة جمبري

شبك مدحت كفيه في بعضهما واضعا إياهم علي بطنه

-طيب كويس وبعدين؟

زادت عزيزة من نبرة الترغيب في صوتها واستعانت بيديها لتؤكد ما تقول:

-بقولك شامة ريحة جمبري وجسمي كله بياكلني

نظر لها مدحت في عدم فهم..

-يعني

فتحت عينيها مندهشة من جهله ..

-يعني أنا لو هرشت في أي حتة هتطلع للواد فيها جمبرياية

انزلق مدحت مرة أخرى داخل الأغطية وهو يقول بسخرية

-كويس كدا الناس تقول عليه ابن عز

-ها ها ضحكتني... قوم

نام علي ظهره وضرب كفيه ببعض..

-أقوم أعمل ايه بس

قالت كلماتها ببطء شديد..

-قوم.... هاتلي..... جمبري

-و أنا أجيبه منين الوقت؟

أشاحت بيدها في الهواء لا مبالية..

-أنا عارفه بقي أتصرف

ربت علي كتفيها في ضيق..

-خلاص يا ستي امسكي انتِ بس نفسك للصبح وأنا هجيبه ... يالا تصبحي علي خير

ووضع الوسادة علي رأسه . رفعت عزيزة الوسادة وصاحت في أذنه

-مدحت

أمسك أذنه بيده وقال وأسنانه تجز:

-نعم

-امسك ايدي

-ودا وقت رومانسية يا عزيزة

ضحكت بسخرية..

-مين اللي جاب سيرة الرومانسية..

ثم رفعت حاجبها الأيمن ..

- ما هو أنت يا تجيب الجمبري يا تمسك ايدي للصبح عشان مهرش

في عدم تصديق لما يسمعه:

-نعم!

بمنتهي الهدوء أجابت مبتسمة:

-نعم الله عليك

-عزيزة اتلمي

أعادت رفع حاجبها مرة أخرى، وقالت بنبرة تهديد حقيقية:

-ات ... إيه .. اسمع يا مدحت انا صابرة عليك أوي أتفضل اعمل حاجة من الاتنين

-طيب ما نربط ايدك أحسن

-ما أنا برضك ههرش بيها

ابتسم في نفسه متمنيا أن توافق علي اقتراحه..

-خلاص نربطها في السرير

علا صوتها محتدة:

-هاها ضحكتني تاني تصدق... امسك ايدي

مجبرا اضطر لإمساك يدها وهو بداخله يلعن اليوم الذي فكر في الزواج منها كم كان مستمتعا، منعما، مرفها، في بيت والده

-حاضر

بعد قليل من الوقت، كان قد دخل في النوم من جديد، فصاحت به عزيزة توقظه

-مدحاااااااااااااااااات

انتفض في مكانه ينظر حوله..

-ايه؟

-أنت نمت وسبت ايدي قوم أقعد أحسن

تكلم مدحت ونعاس يقطر من كلماته

-وأنا كدا أنام؟!

تثاءب بقوة ثم أكمل:

-ازاي بس؟

هزت كتيفيها في عدم مبالاة..

-مش مهم .. المهم مهرش

ابتسم ابتسامة صفراء..

-طيب ما تنامي انتِ

-تؤ مش جايلي نوم لسه بدري

صرخ بغيظ:

-حراااااام

ابتسمت بانتصار وهي تسأله ما تعلم إجابته جيدا

-في حاجة؟

-لاء يا حياتي

الفصل (٣)

الحقوووووووووووني

(١)

ألقت عزيزة نفسها علي السرير وهي تبكي أشد بكـــاء ، استيقظ مدحت علي صوت بكائها ، رفع رأسه مـــن علـــي الوسادة ليري عزيزة قد ربطت رأسها بطرحة سوداء وتبكي ، هب جالسا:

- مالك يا حبيبتي خير؟

ارتمت في حضنه باكيه:

- مات يا مدحت إهيء إهيء مات

أبعدها عنه قليلا متسائلا؟

- إنا لله وإنا إليه راجعون ..... مين يا حبيبتي اللي مات؟

من خلال دموعها..

- خليل

ضيق عينيه محاولا تذكر الاسم..

- خليل ... خليل .. آه عم خليل لا حـــول ولا قـــوة إلا بالله..أمتى حصل؟

في ضيق ومزيد من البكاء أجابت :

- بقولك خليل مش عم خليل ... خليل بس

فرك عينيه محاولا أن يفيق أكثر ليستطيع أن يركز ويتـــذكر هذا الخليل الذي أبكى زوجته بهذا الشكل ، احتضن زوجتـــه ليهدئ من روعها..

- معلش يا عمري إهدي شوية وفهميني مـــين خليـــل دا عشان أقدر أروح أعمل الواجب

- مش ... مش هتقدر تعمل حاجة خـــلاص .... إهـــيء إهيء

ربت علي كتفيها في حنان:

- ليه بس يا حبيبتي أكيد هلحق قوليلي بـــس مـــين هـــو وهتشوفي

رفعت رأسها من علي كتفه ناهرة إياه..

- تروح ايه بس يا مدحت! ... أنا كل اللي مضايقني هما ليه عملوا كدا

مسحت بكم قميصها أنفها وأكملت:

- لو ناويين يموتوه كانوا ليه علقوني بيه .... ليه عيـــشوني الحلم معاه؟!

أعتدل في جلسته وهو يعيد كلامها..

- علقوكي بيه ... عيشوكي الحلم !

أمسكها من ذراعها بقوة:

- مين خليل دا؟ ... أنطقي

حاولت سحب ذراعها وفشلت، فصاحت به:

- خليل ... بتاع مسلسل ميرنا وخليل.. التركي

دفع ذراعها بعيدا في غيظ..

- مسلسل تركي !

- المسلسل اللي بتفرج عليه ... تصدق يا مدحت الكلاب يموتوا خليل.. بعد ماأدو لكل الستات أمل أن في راجل زي دا في الدنيا يموتوه.. لو كانوا عايزين نهايه ضلمة كانوا موتوا ست ميرنا في منها كتير ومش مهمه أصلا..

ولاها ظهره وهم أن ينام مجددا وهو يقول:

- صح عندك حق ناس زبالة ... مـــانجلكيش في حاجـــة وحشة

أمسكت ذراعه بنفس الطريقة التي أمسكها بها . فاعتدل في جلسته مجددا وسحب ذراعه منها..

- أفهم من دا إيه؟ ... إيه المسكة العبيطة دي؟

قفزت جالسة علي ركبتها..

- عبيطة .... أنا عبيطة؟

في ثوان كانت دموع الحزن جفت، وحل محلها شرر الغضب. ضحك مدحت قبل أن يتكلم ..

- أيوه عبيطة لسببين الأول أنك فاكرة أن مسكة النملة دي ممكن توجعني والسبب التاني أنك بتعيطي علي واحد مات في مسلسل دا ..... ركزي معايا.. شوية تمثيل

قال الكلمة الأخيرة ببطء شديد هو يحرك إصبعيه السبابة والوسطي لأعلي ولأسفل ، اتخذت عزيزة وضعية دفاع..

- ولما أنت عارف كل حاجة وفاهم كويس أنه تمثيل

أعادة الحركة التي فعلها بإصبعيه..

- كنت بتلوي دراعي ليه؟

قال بعد أن وضع الوسادة علي رأسه ورقد مجددا:

- عشان راجل أهبل، كنت فاكرك بتعيطي علي حد بجد

رفعت الوسادة من علي رأسه باسمة:

- يعني أنت كنت غيران؟

رد بإقتضاب:

- طبيعي

- هو إيه اللي طبيعي.. اتعدل كدا واحكيلي

زفر في ضيق:

- أحكي إيه بس.. أنتِ عارفة الساعة كام؟

- آه

- مادام آه.. يبقي تصبحي علي خير

وضع الوسادة علي رأسه مجددا لترفعها عنه مرة أخرى..

- مافيش نوم إلا لما تحكيلي الأول

- علي إيه بس؟

رجعت بظهرها مستندة إلى الوسادة، وقالت بصوت حالم:

- عن حبك ليا وموتك عليا وأنك بتغير عليا موت ومش بتستحمل النسمة تعدي علي خدي

تنهدت بقوة وأكملت:

- فاكر لما كنت بتقف قدام البيت بتاع بابا كل يوم بالساعات بس عشان ممكن تشوفني ولا لما أخويا شافك من الشباك ونزل اداك علقة سخنه وورملك بيها وشك ولا لما

خرجنا في الشتا واشترينا أيس كريم والمطر عمال يرخ وأخدت فيها دور برد معتبر أصلك من ورق الفسفس

ضحكت وانتظرت يبادلها الضحك.. ولما لم تسمع صـــوته التفتت إليه لتجده غارقا في النوم، فرفعت الوسادة وألقتها علي رأسه بكل قوتها

- آه .... إيه في إيه ؟

في تشفي أجابت :

- هي المخدة جت في وشك؟.. سوري يا عمري ما كنش قصدي ... تصبح علي خير

***

(٢)

أغلق مدحت باب غرفة النوم وهو يعدل من هندامه ويمسح بيده علي صدره ، ابتسم عندما رأي عزيزة:

- ها تحبي أجيبلك إيه وأنا جاي؟

قامت عزيزة من مكانها، ولفت حوله وهي تقول:

- أنت رايح فين إن شاء الله وأنت مظبط نفسك كدا؟

أخذ خطواته في اتجاه باب الشقة..

- مش قلتلك يا عمري رايح أقابل عبد الله عشان موضوع العربية خلينا نخلص بقي ونجيب العربية اللي بتحلمي بيها

استوقفته عزيزة قبل أن يصل للباب:

- رايح تقابل مين؟

- عبد الله

هزت كتفيها وهي تقول:

- عبد الله برضه؟

ابتسم مدحت ثم نظر في ساعة يده..

- طبعا يا عمري بس بقولك إيه أنا أتأخرت على الآخر هبقي أكلمك قبل ما أجي عشان لو عايزة حاجة من بره يلا سلام

ركضت عزيزة لتسبقه في الوصول للباب وتقف أمامه ويديها أمامها ممسكة بصدره

- يعني أنت خارج متأنتك علي الأخر ومظبط نفسك عشان تقابل عبد الله؟

في ضيق أجاب:

- آه ... ممكن بقي تحاسبي؟

صاحت:

- دا علي جثتي

اندهش مدحت..

- إيه! ... أنتِ بتقولي إيه؟

- إوعي تكون فاكر أنك كلتني بحكاية العربية اللي بحلم بيها والقصص الخايبة بتاعتك دي.. لا دا أنا صحيالك

- صاحية إيه ... أنا مش فاهم حاجة

رفعت عزيزة حاجبها:

- مش دا برضك الطقم اللي المزغودة في قلبها سمـــر بنـــت عمك قالت لك عليه أنه حلو؟

نفخ بشده ثم ولاها ظهره..

- مش كنا خلصنا من موضوع سمر دا؟ دي قد بنتي!

صرخت:

- وأنت كمان عندك بنت؟!

ضربت علي صدرها بشدة..

- ياالهوي ياالهوي

أسرع ناحيتها مرة أخري ليضع يده علي فمها..

- بس بقي هتفضحينا ...كل يوم الجيران تسمع صوتنا

- وأنت عايزني اعمل إيه لما أعرف أن عندك بنت ومخـــبي عليا؟

- بنت مين بس ... يا عزيزة دا تشبيه افتراضي أنا أكبر من سمر بـــ ١٨ سنة يعني هي تعتبر قد بنتي

نظرت له بشك..

- يعني أنت معندكش بنت؟

- لاء

- جميل.. بيقي نرجع لمرجعونا ... أنت رايح فين؟

زفر بشدة، وجلس علي الأريكة..

- يا عزيزة مش ممكن اللي انتِ فيه دا.. هو أنا من يوم ما عرفتيني كدبت عليكي أبدا ...

ردت بسخرية ماطة الكلام:

- أبـــــــــدا

- ماشي يا ستي اتريقي ... بس بجد أنا تعبت من عدم ثقتك فيا

اقتربت منه وهي تضرب كفيها ببعضهما..

- يا حرام.. دا انت غلبان أوي معايا

جلست بجانبه، ووكزته بكوعها..

- أنت!.. دا أنتماية من تحت تبن

هز رأسه في ضيق..

- أنتِ إيه اللي يريحك الوقت عشان ألحق معادي؟ تحبي أتصلك بيه وأفتح الأسبيكر عشان تسمعي كلامنا؟ وللا بلاش منها العربية خالص؟

تجاهلت سؤاله الأخير، وأجابت:

- ما أنت ببساطة ممكن تكون مظبط معاه وعامله حـــائط آمان

- حائط إيه! ....ما علينا.. المهم أنا عايز أنزل.. شوفي أنتِ عايزة إيه أعمله عشان تسبيني أنزل

ابتسمت وقالت بهدوء:

- غيّر

- إيه؟

- مالك؟ بقولك غير هدومك

قام من مكانه متجها للباب..

- أنتي بقيتي تعصبي.. سلام

صاحت في مكانها:

- خطوة زيادة نتحية الباب هصرخ وألم عليك الناس أنـــت فاهم

حذرها..

- عزيزة

- لا ... مش المرة دي... المرة دي علي جثتي لو خرجت، وأنت عارفني كويس

تنهد في حزن متمالكا أعصابه بصعوبة بالغة..

- طيب يا ستي تحبي ألبس إيه في الليلة الزرقة دي؟

رفعت حاجبها، وقالت بحدة:

- والله زرقة ...خضرا... حمرا مش مشكلتي

تقدمها إلى غرفة النوم، يريد أن ينتهي الأمر..

- ماشي يا ستي المهم أريحك هتحبي ألبس إيه؟

فتحت الدولاب.. أخذت تعبث به قليلا.. ثم أخرجت بنطلون رياضي مقلم أزرق مع رمادي. انتقلت إلى الدولاب الآخر لتخرج منه كترة رمادية

- دول حلوين

استحوذت الصدمة عليه قليلا، قبل أن يسأل:

- إيه دا؟

- هدوم

- تقصدي بيجامة

جلست علي السرير مبتسمة..

- لاء ترييننج ... في فرق

أمسك الملابس بامتعاض ورفعها أمام عينيها..

- وأنا أروح أتفق علي عربية تمنها بالشيء الفـــولاني وأنـــا لابس بيجامة؟ ..لاء عفوا ترنج.. دا كان الراجل احتقرني

- مش مهم يحتقرك يقدرك.. المهم يبيع لك العربية ... يالا يالا لتتأخر

ألقي الملابس من يده أرضا..

- لاء مش هلبسهم.. وهنزل كدا واللي عندك أعمليه سلام

فاجأته بما لم يتوقعه، فركضت لتخرج من بـــاب الغرفـــة، وتغلقها عليه بالمفتاح من الخارج

- اتفضل أخرج من الشباك بقي

خبط مدحت الباب بشدة مطالبا عزيزة بفتح الباب؛ لكنها أبت وأصرت أن يغير ملابسه بما اختارته له

- يا عزيزة عيب أتأخرت علي الناس.. كمـــان الجـــيران سامعه صوتنا

- لو عايز تخرج غير ومافيش كلام تاني

- يا عزيزة وبعدين معاكي افتحي

- أبدا

أخيرا.. استسلم مدحت وطرق بضعف علي الباب

- أنا غيرت خلاص

قامت ببطء من علي الأريكة

- ارجع لورا بعيد عن الباب

- ل؟يه

- عشان أشوفك الأول من خرم الباب

لما تأكدت عزيزة أنه غير ملابسه فتحـــت البـــاب وعلـــي وجهها ابتسامة الانتصار

***

(٣)

عاد مدحت من العمل فوجد باب شقته مفتـــوح. انـــدفع بشدة إلى الداخل وعقله يموج في العديد من الكوارث التي قـــد تكون حلت بزوجته التي - مهما كانت بغيضة - فهي زوجته. صاح بعلو صوته وقلبه يكاد ينخلع من عنف ضرباته

- عزيزة

فزعت عزيزة من صوته كما تفاجأ من معها. وقف مدحت مشدوها.. هناك رجل في بيته وعزيزة تجلس معه.. قامت مـــن علي المقعد واقتربت منه وهي تنظـــر لـــه لائمـــة في صـــوت خفيض..

- ايه اللي اخرك؟

ثم التفتت إلى الضيف الجالس بابتسامة متكلفة وهي تعرف زوجها به..

- أحمد ابن جواهرجي ماما

ثم أشارت لزوجها..

- مدحت جوزي

تقدم الشاب بتهذيب من مدحت مادا يده..

- أهلا وسهلا أخيرا تعرفت بحضرتك.. عزيزة.. أقصد مدام عزيزة كلمتني كتير عنك

كان توتر الشاب باديا علي ملامحه وطريقة كلامه.. رد مدحت بتحفظ وهو يمد يده ليصافحه بأصابعه

- أهلا بيك.. عزيزة بقي ماكلمتنيش عنك.. أحب أتعرف عليك أكتر

شعر الشاب بالتهديد مخفيا بين الكلمات، فتنحنح، ونظر لعزيزة نظرة استغاثة

تكلمت بطلاقة كأنها لم تستشعر التهديد مثل أحمد:

- إيه اللي أخرك يا عمري؟ دا أحمد كان خلاص هيمشي

- ودي تيجي.. يمشي إزاي بس قبل ما أشوفه

كانت السخرية واضحة جدا في كلماته، فأمسكت عزيزة يده وجذبته نحو حجرة النوم..

- أتفضل يا أحمد وقفت ليه أقعد ثواني ورجعالك

دخلت معه الغرفة وأغلقت الباب.. مدت يدها وهي همس

- هات المرتب

نظر لها في دهشة، فقالت:

- المرتب.. مش أنت قبضت برضك؟

- آه

- هو إيه اللي آه.. هات

أشار مدحت للباب..

- إيه اللي جابه هنا ده؟

- أنا هقولك بعدين ليه.. هات بس الفلوس

أمسكها مدحت من ذراعها وكرر سؤاله، فردت في تعجب من رد فعله

- مالك يا مدحت؟ أنت كويس؟

- عزيزة ... الراجل دا بيعمل ايه هنا؟

- هيكون ايه؟ جاي ياخد فلوس

أرخى يده قليلا وهو ينظر لها منتظر أن تكمل ، تنهدت عزيزة قبل أن تكمل في ضيق..

- أنا رحت أخدت دول من عندهم والفلوس ما كفتش ولأني عارفه أنك هتقبض النهاردة جبته معايا عشان أديله الفلوس بس ... ارتحت؟

لاحظ مدحت لأول مرة الأسورة الذهبية التي تحيط معصمها، والخاتم الذي يشبهها والذي يتوسط يدها اليمني

- إيه دا؟

- هو دا برضك محتاج شرح؟ خاتم وأسورة

- أنا شايف أهم خاتم وأسورة.. بس ليه أشتريتيهم؟ والأهم كمان بكام؟

ابتعدت قليلا وهي تمشي بشكل درامي كأنها علي مسرح

- أيوة أيوة.. قول بقى.. الفكرة مش راجل هنا ولا هناك.. الفكرة في الفلوس وأنا اللي قلت مدحت خلاص اتنحرر وبقي بيغير

- أتنحرر وبقي بيغير ... أنتِ عارفه أني كنت هصور قتيل بره ياهانم بس ربنا ستر؟

لوت شفتيها يمنة ويسرة بسرعة، قبل أن تقول:

- قتيل مرة واحدة!.. ماشي ياعم السفاح.. المهم أنا عايزة الوقت ألف وخمسيت جنيه عشان الراجل اللي قاعد بره وبعدين نبقي نشوف موضوع القتيل دا

- ألف وخمست جنية ليه؟ هما بيساووا كل دا؟

ضحكت عزيزة بسخرية..

- يساووا كل دا!.. لاء دا اللي فاضل بعد ما دفعت اللـــي كانوا معايا

- كانوا معاكِ فين؟ كام يعني؟

- ابدا دفعت خمسة آلاف ولسة ألف ونص.. سعرهم لقطه

جلس مدحت علي الفراش مصعوقا يحدث نفسه..

- أسورة وخاتم بستة آلاف جنيه ونص ليه ؟

- عشانهم ماركة يا سيدي ماركة .... آه مش أي حاجة يعني

نظر مدحت لعزيزة بتساؤل..

- وأنتِ جبتي الخمسة آلاف منين؟

أجابت سؤاله مستنكرة تلكؤه..

- اللي أنت اديتهم لي الشهر اللي فات

قام مدحت من مكانه واقترب منها والغضب يطـــل مـــن عينيه..

- فلوس الولادة والعقيقة رحتي جبتي بيهم دهب!

ردت بلا مبالاة وكأنها لم تفعل شيء..

- آه ... ايه المشكلة.. ابقى اسحب غيرهم من البنك.. ثم دول سعرهم لقطة مش هلاقيه تاني

بدأ صوته يعلو..

- طبعا عندي ميت مشكلة ... الفلوس دي كانت أمانــه معاكي لحد الولادة

تركته وذهبت تنظر لنفسها في المرأة وتحرك ذراعها تتفــرج على الأسورة بإعجاب..

- هو أنت بتكسب قليل ولا حتى أهلك ناس فقيرة؟.. دول علي قلبهم أد كدا

وقف خلفها ينظر بضيق ليدها

- أنتي عايزاني بعد العمر دا آخد من أهلي!

- خلاص اسحب من البنك

ضرب كفيه ببعضهما وهو يقول:

- بح خلاص ... البنك بح والفلوس خلاص فنيتوا

التفتت إليه مندهشة..

- هو ما عادتش عندك فلوس في البنك

- كان زمان.. البركة فـــ

رجعت تنظر لنفسها في المرأة مرة أخري وهي تهز كتفها

- برضك مش مشكلتي أنا ملزومة منك أتصرف.. لو راحوا مني مش هعرف اجيبهم تاني بالسعر ده

- أنت ملزومة مني أأكلك وأشربك واعالجك لو تعبانه بس

- ليه يعني؟ هو انا كنت بقرة في الزريبة بتاعت أهلك؟

نهرها..

- عزيزة

- بلا عزيزة بلا بتاع بقى.. فلقتني عشان قرشين عمي

قال بإصرار :

- الأسورة والخاتم يرجعوا

- لاء

عقد مدحت يديه أمام صدره..

- خلاص مافيش فلوس وأخرجي قولي للراجل اللي بره يروح ياخدهم من أهلك

- مدحت دا مش هزار

ضحك بسخرية ممزوجة بالمرارة..

- ياريتك بتهزري ....

تركها وخرج من الغرفة ليجد الصالة فارغة وأحمد لم يعد هناك. لحقت به عزيزة وعندما تبينت أن أحمد غادر صرخت به:

- عاجبك كدا؟ فضحتني ربنا يفضحك يا شيخ دنيا وأخرة وما تشوف يوم حلو أبدا

هم برفع يده، لكنه تمالك أعصابه، وهو يرى بطنها الذي انتفخ بطفله..

- يا ساتر.. يا ساتر عليكِ.. دا أنتِ .....

قاطعته عزيزة:

- مالي ؟

- ولا حاجة.. سكرة.. بس يا سكرة هتدفعي الباقي من معاكي

صاحت عزيزة والشرر يطل من عينيها:

- مدحت

رد مدحت بنفس طريقتها:

- عزيزة

جلست عزيزة مكانها في الأرض وقد استشعرت قوة موقفه هذه المرة.. غيرت استراتيجيتها، وأخذت تبكي وتتكلم بصوت خفيض..

- ليه يا مدحت .. ليه عايز تكسر قلبي وتخليني أقل واحدة في صحباتي

لم يجب، بل تظاهر بعدم سماعها. كررت كلامها بصوت أعلى، فلم تجد رد

- أنا بحبك ونفسي أشرفك في أي مكان تكون فيه وكمان أتباهى بيك قدام كل اللي شمتوا فيا لما طلقتني وأنا لسه عروسة في شهر العسل

بدأت تؤثر فيه لكنه حاول ألا يبدي ذلك..

- كل دا عشان كان نفسي في حتة أسورة وخاتم! يعني هو أنت لو أتزنقت فيهم هقولك لاء.... بس أعمل إيه دا بختي

لم يتحرك مدحت، فزادت عزيزة جرعة المسكنة لأقصي حد، وهنهت هامسة:

- أنا كنت عارفة أنك رجعتني بس عشان خاطر الولد وأني لو عملتك إيه مش ممكن تحبني

نظر لها مدحت وقد أخذته الشفقة، فأكملت..

- لو اللي يريحك أنك ترجع الحاجة رجعها.. أنا خلاص مش عايزاهم ولا عايزة غيرهم.. ماهي الحاجة اللي تستخسرها فيا مش عايزاها.. أنا عرفت قمتي في البيت دا ومش هتخطي حدودي مرة تانية

ثم أجهشت في بكاء حارّ كنجمة محترفة للدراما. اقترب منها واحتضنها بقوة

- أنتِ ليه بتقولي كدا.. أنتِ عارفه كويس أني بحبك بس الحكاية أني مزنوق شوية اليومين دول بعد موضوع العربية الجديدة ومافيش فلوس تحت إيدي بس

رفع رأسها بيده، لينظر في عينيها بحنان:

- أنا برضه أطول أنك تكوني مراتي وأم أبني إن شاء الله.. دا أنا أشيلك جوا نن عنيا

أراحت رأسها علي صدره كي لا يرى نظرة الانتصار التي ارتسمت في عينيها ، أكمل كلامه

- بعدين أنا مش لسه من خمس شهور بس جايبلك شبكة تانية بـ ١٥٠٠٠ يعني لو مستخسر فيكي ما كنتش جبت من الأول الفكرة بس أني مزنوق

أجهشت عزيزة مرة أخري في البكاء وهي تخلع من يدها الأسورة والخاتم، وتمد يدها بهم إليه، فلم يستطع إلا أن يعيدهم إليها، ويلبسها إياهم بيده

- خلاص خليهم بقى وربنا الرزاق مبروكين عليكِ

اختفت دموعها كأن لم تكن، وابتسمت:

- طيب ماتنساش وانت بتدي أحمد الألف ونـــص تبقـــي تعتذر له علي جليطتك لما كان هنا

ثم تركته ودخلت غرفة النوم وهي تغني..

- بحب الناس الرايقة اللي بتضحك علي طول أمـــا العـــالم المضايقة انا لاء ماليش في دول

***

(٤)

صرخت عزيزة صرخة أيقظت مدحت من نومه ، فتح عينه ليجد البيت غارق في ظلام دامس ، صرخات عزيزة مازالت تملأ المكان ، قام من مكانه يتلمس طريقة للصالة وهو ينادي عليها

- عزيزة انتي فين

قالت عزيزة من خلال صراخها

- أنا اتعميت يا مدحت اتعميت

- طيب بس اهدي أنا جايلك.. متعرفيش الشمع فين

كانت مازالت تبكي وتصيح ، تندب حالها

- يا عيني عليا وعلي بختي أنا ليه بس بيحصلي كدا.... محسودة أنا بخمي خفيف أنا عارفة

حادث مدحت نفسه:

- احنا هنرجع للموال دا تاني هو كل حاجة محسودة محسودة.. أوف... يا رب صبرني

ثم تكلم بصوت عالي:

- يا حبيبتي اهدي كدا وقوليلي مكان الشمع فين

- شمع إيه الوقت بقولك أنا اتعميت تقولي شمع

- لاء سلامتك من العمى ليه بتقولي كدا علي نفسك

وهو يحادثها اصطدم بالمقعد التي تجلس عليه

- مسكتك ..... هههههههه

اصطنع مدحت الضحك ليهدئ روعها، لكنها أبت أن تهدأ واستمرت في البكاء. أمسكها من كتفيها وربت عليها..

- مالك بس يا حبيبتي انتِ بتخافي من الضلمة ولا إيه؟

- إهيء ...إهيء أنا حياتي هتبقي خلاص كلها ضلمة أنـــا اتعميت يا مدحت..اهئ.. انا كنت قعدة بتفرج علي التلفزيون وفجأة الدنيا ضلمت أدعك في عيني .. إهيء ..مافيش فايـــدة برضك الدنيا ضلمة

منع مدحت نفسه من الضحك بصعوبة وهو يفكر هل حقا يفعل الحمل بعقل المرأة كل ذلك؟!!..

- طيب أنتِ سامعة حاجة غير صوتي الوقت؟

سكتت لحظة عن البكاء..

- لاء

- يبقي الكهربا اتقطعت.. ولا ايه؟

عادت للبكاء مرة اخري

- لاء أنا كنت قافله الصوت

- نعم! و إزاي بتتفرجي علي الفيلم؟

- لاء أصلك مش فاهم.. الفيلم رعب وأنا بخاف من الموسيقي التصويرية فبأقفل الصوت وأتفرج بمزاج

صمت مدحت قليلا ليستوعب ما قالته زوجته..

- يعني انتي مش بتخافي من مناظر القتل ولا الدم.. بس الموسيقي!

- طبعا الموسيقي دي بتخليني أنط من مكاني.. لكن لو علي الدم ما أنا بأدبح بإيدي في العيد مع بابا

وقف مدحت مصعوقا، وممسكا برقبته..

- بتدبحي بإيدك!

أكملت عزيزة وصلت البكاء

- أنت في إيه ولا إيه؟ ايه الأسئلة الماسخة دي...إهيء إهيء هاتلي ماما أنا عايزة ماما

- حاضر

ذهب مدحت للمطبخ وأتي بشمعة مضاءة وعندما اقترب من عزيزة صرخت..

- مدحت أنا بموت.. أنا بموت زي الفيلم بالظبط

- ليه بتقولي كدا كفى الله الشر

كان صوتها يهتز من الرعب..

- أنا شايقة نور من بعيد بيقرب ماسكه مارد كبير.. دا ملك الموت... خبيني يا مدحت.

ضحك مدحت من قلبه علي طيبة زوجته فهي رغم نكدها المستمر تحمل عقل طفلة. وضع مدحت الشمعة علي الطاولة، واقترب من زوجته

- عزيزة دا أنا مدحت ماتخافيش

عندما أمسكها كانت ترتجف من الخوف فأحاطها بذراعيه يهدئ من روعها

- يا حبيبتي مافيش مارد ولا حاجة.. دا أنا كنت جايب الشمعة من المطبخ وبما أنك شفتيني يبقي أنتي ما اتعميتيش ولا حاجة.. إهدي بقي شوّية

دفعته بيدها بعيدا عنها ورفعت حاجبها الذي كاد أن يلمس طرف شعرها ،علي الرغم من الضوء الخافت أستطاع مدحت أن يري نذير الشر في عينيها

- يعني أنت عارف أني ما اتعمتش من الأول؟

- طبعا يا عمري

- وكنت بتسلي نفسك بيا ؟

- إيه !..

فجأة سطع النور.. لقد عادت الكهرباء مما اضطرهما لغلق أعينهما لوهلة. سمعت عزيزة مدحت وهو يهمس بالشهادة، فقالت:

- كويس أنك عارف أن نهايتك علي إيدي وبتتشاهد علي روحك

قام مدحت من مكانه وهو يضحك..

- مين قال أني بتشاهد علي روحي.. أنا بتشاهد عشان النور رجع

- يبقي كنت خايف

- لاء يا ذكية أخواتك عشان ربنا لما يقطع النور علي عبد من ...

قاطعته بحدة ..

- ذكية أخواتي!

لم يدرك مدى ندمه أن تلفظ بتلك الكلمـــات إلا عنـــدما أعادتها عزيزة علي مسامعه بتلك اللهجة.. ضحك مرتبكا..

- هو أنتي مش ذكية برضه

- آه.. بس الكلمة دي تريقة.. يعني أنت كنت بتتسلى بيا وبعدين بتتريق عليا.. يومك مش فايت

قذفته بالوسائد الصغيرة، فزادت من ضحكه، واستطاع بخفة تفاديها ثم وقف واضعا يديه علي خصره ويتمايل يمينا ويسارا

- طيب اعرفي تنشني الأول

- اسمها تكوي يا جاهل

ثم أخذت عزيزة تقذفه بكل ما يقع تحت يدها وكلما هرب من قذائفها استشاطت غضبا.. قذفته بكوب النسكافيه الـــذي كانت تحتسيه قبل انقطاع الكهرباء.. وكان هذا الكوب هـــو الشيء الوحيد التي استطاعت فعلا أن تصيبه به

- آآآآآآه

سقط مدحت أرضا.. لقد أصابه الكوب في منتصف جبينه. اقتربت عزيزة بخطوات مرتعبة والذعر يجعل قلبها يكاد يقفز.. وقفت كالمشلولة بجانبه، فمنظر الدماء التي دفقت من رأسه لا ينبئ بالخير

(٥)

استيقظ مدحت وهو يحس بدوار شديد وثقل برأسه كـــأن هناك من يجلس فوقه ، حرك يده بطريقة لا شعورية ليزيح من يجلس عليها ، اقتربت يد من يده فالتفت بفزع..

- حبيبي أنا ماما

حلت نظرة طمأنينة محل الفزع عندما رأي ابتـــسامة أمـــه الحنونة

- آآآآآآآه

رفع يده ليمسك رأسه متألما وتساءل..

- هو إيه اللي حصل؟

- أنت مش فاكر؟

- تؤ

تحول نظر الأم للطرف الآخر من السرير.

- طيب قولي لنا أنتِ إيه اللي حصل

أمسكت عزيزة يد مدحت واقتربت منه..

- حمد لله علي السلامة

بدأت ذاكرته تستعيد ما حدث في الليلة، وعزيزة تجهش في البكاء.

- أنا كنت هموت من القلق عليك

ثم وكزته

- وأنت عارف أن القلق مش كويس عليا وأنا في التاسع.... اخص عليك يا وحش

كانت نظرات مدحت النارية تخبر عما يعتلي قلبه وعقله في تلك اللحظة بعد ان تذكر الموقف بكامله..

- صح.. أنا وحش

اقتربت عزيزة أكثر لتهمس في أذنه..

- نتكلم في بيتنا لوحدنا أحسن ولا إيه

- لاء

ثم صاح..

- فين حماتي و حمايا؟

ردت أمه:

- كانوا لسه هنا بس حماتك راحت تقيس الضغط أصلها كانت قلقانه عليك ويمكن دا رفعلها الضغط

- كلميهم ييجوا حالا يا ماما عشان أتكلم مرة واحدة

أمسك رأسه من أثر الألم ، أما عزيزة فجلست في ركن الغرفة تنقر الأرض بقدمها وعلي وجهها إمارات القلق الشديد.. دقائق وكان الحموان قد قدما، وسأله حماه..

- خير يا أبني؟.. حمد الله على سلامتك الأول

أم عزيزة سارعت إلى جانب ابنتها تهمس في أذنها..

- بص يا عمي أنا خلاص تعبت ، صبرت كتير وتعبت

- طيب مش تقول لي بس في ايه؟

- بنتك .... أنا مش عارف ليه بتعمل كدا فيا

تدخلت عزيزة..

- يا بابا ماتاخدش علي كلامه دا من أثر الخبطة تخاريف يعنـ ....

نظر إليها أبوها بحدة قطعت كلامها، ثم التفت إلى مدحت..

- خير يا ابني أنا سامعك

- أنا استحملت كتير.. دي بني آدمة مريضة مش عارف بالغيرة وللا بالند وللا ايه!!..يعني مرة تنيمني في البلكونة في عز البرد أصل إيه كنت بعاكس الجيران ... ومرة تنزلني

بالبيجامة وأنا رايح اشتري عربيه وأصلها خايفة لأكون بقابـــل واحدة .... تدبسني في إسورة وخاتم بـــ كذا ألـــف بفلـــوس الولادة وأقول ماشي ...شافتني ملك الموت ومارد قلت معلش كانت خايفة ... النوم اللي مابتهننيش عليه وقلت معلش بتدلع عليا وهي حامل.. بس توصل انـــ..

صرخت عزيزة في تلك اللحظة قاطعة كلام مدحت فلقـــد شعرت بنذر الخطر قد أوشكت.. كيف تبرر للجميع قفذها له بالكوب وفتح رأسه الذي استلزم عشر غزر

- اااااااااااه ألحقيني يا ماما ... آه

أمسكت بطنها وجلست علي ركبتيها في الأرض تـــصرخ متألمة، وهبت أمها إليها في فزعٍ مرسوم..

- مالك يا قطتي.

نسي أبوها مدحت وإصابته أيضا أمام ألم ابنته..

- مالك يا عزيزة؟

- مش عارفة يا بابا شكلي كدا بولد

هرول الأب ليأتي بالطبيب، واستغلت أم عزيزة تلك اللحظة لتلقي ببعض قطرات الماء علي الأرض تحت ابنتها

-

إيه دا يا بنتي ... دي ميه العيل ؟

- آآآآآآآآآآه الحقيني يا ماما آآآآآآآآآآآآآآآآه

دخلت الممرضة مسرعة، ومعها كرسي بعجل، وأخذت عزيزة لغرفة الفحص.. وقد أخذ مدحت القلق، وسكت عن حكيه، رغم سؤال أمه له. بعد ربع ساعة عادت عزيزة تمشي علي قدميها وهي تنظر في الأرض. دخلت الغرفة لتجد مدحت بمفرده مع أمها فغمزت لأمها كي تخرج وتتركهما وحدهما. اقتربت عزيزة من مدحت وهي تقدم قدم وتأخر الثانية، فبادرها مدحت بالكلام

- مالك مش عارفة تودي وحشك فين؟.. ايه طلعت مش ولادة كمان؟

لم تجب عزيزة واستمرت في النظر للأرض..

- مكسوفة مش كدا؟

هزت رأسها بمعني الإيجاب..

- أنا كنت ممكن أموت

رفعت رأسها بسرعة ولهفة..

- بعد الشر عليك ....

أخفى ابتسامة سعادة بالقلق الحقيقي البادي علي وجهها..

- خايفة عليا؟

- طبعا.. أمال أنت عايز تسبني أدبس في ابنك لوحـــدي؟! اللي عمل عملة يشيلها للآخر

لم يحتمل الغيظ، فقال من بين أسنانه:

- أنتِ مش بتتغيري أبدا؟ ... مافيش فيكي لا فايـــدة ولا خير؟.. امشي يا عزيزة من وشي.. مش عايز أشوفك.. امشي ولما اطلع من المستشفى نشوف لنا حل خلاص

صاحت عزيزة:

- مالك مالك نفشت ريشك ليه؟ كل دا عشان حسيت أني قلقانه عليك قلت تتمرع حبة؟ لاء فووووق د.............

قطع كلامها صرخة حادة أنطلقت رغما عنها وقد أمسكت بطنها وهي تضم رجليها لتمنع سيل تدفق من المـــاء، احمـــر وجهها، ونفرت عروقها، وبدا الأمر حقيقي هذه المرة..

- آآآآآآآآآآآآآآه

نظر مدحت في فزع هو الآخر ليجدها تنظر للأرض بفزع إلى بحيرة صغيرة من السائل شفاف حول بقـــدميها، وعيناهـــا تتوسل من شدة الألم، فضغط الجرس بجانبه دون انقطاع.

****

ساعات من القلق، ثم كان مدحت يحمل ابنه، وهو جالس فوق الكرسيٍ ذو العجلات في غرفة زوجته. كان طائرا من السعادة وهو حامل لهذا الملاك الصغير بين يديه.. لكن عقله كان يطن ويدور مثل نحلة.. هل أصبح عليه الآن أن يحتمل عزيزة لأنها أتت له بهذا الملاك ؟ هل كتب عليه العيش في نكد بقية عمره؟ أليس من الأفضل أن يعيش الطفل دون مشاكل بين أبويه؟.. عند هذا الحد استعاذ من الشيطان، نفض من رأسه تلك الأفكار ناظرا لطفله بحنان..

- لاء أنا مقدرش أسيبك.. استحمل وأمري لله

- ثم همس..

- بس اوعي تطلع لأمك يا محمد

- خرج صوتها خفيضا:

- ميز محمد دا! ... أنا هاسميه طلال

- إيه ... لاء محمد علي اسم بابا

رفعت عزيزة حاجبها..

- هتنكد عليا وأنا نفسا؟ طيب أرضع ابنك ازاي بالنكد يعني؟.. أنا قلت طلال يعني طلال

نظر مدحت لابنه محاولاً الابتسام وهو يهمس له في يأس:

- نورت دنيتي يا طلال


Congratulations